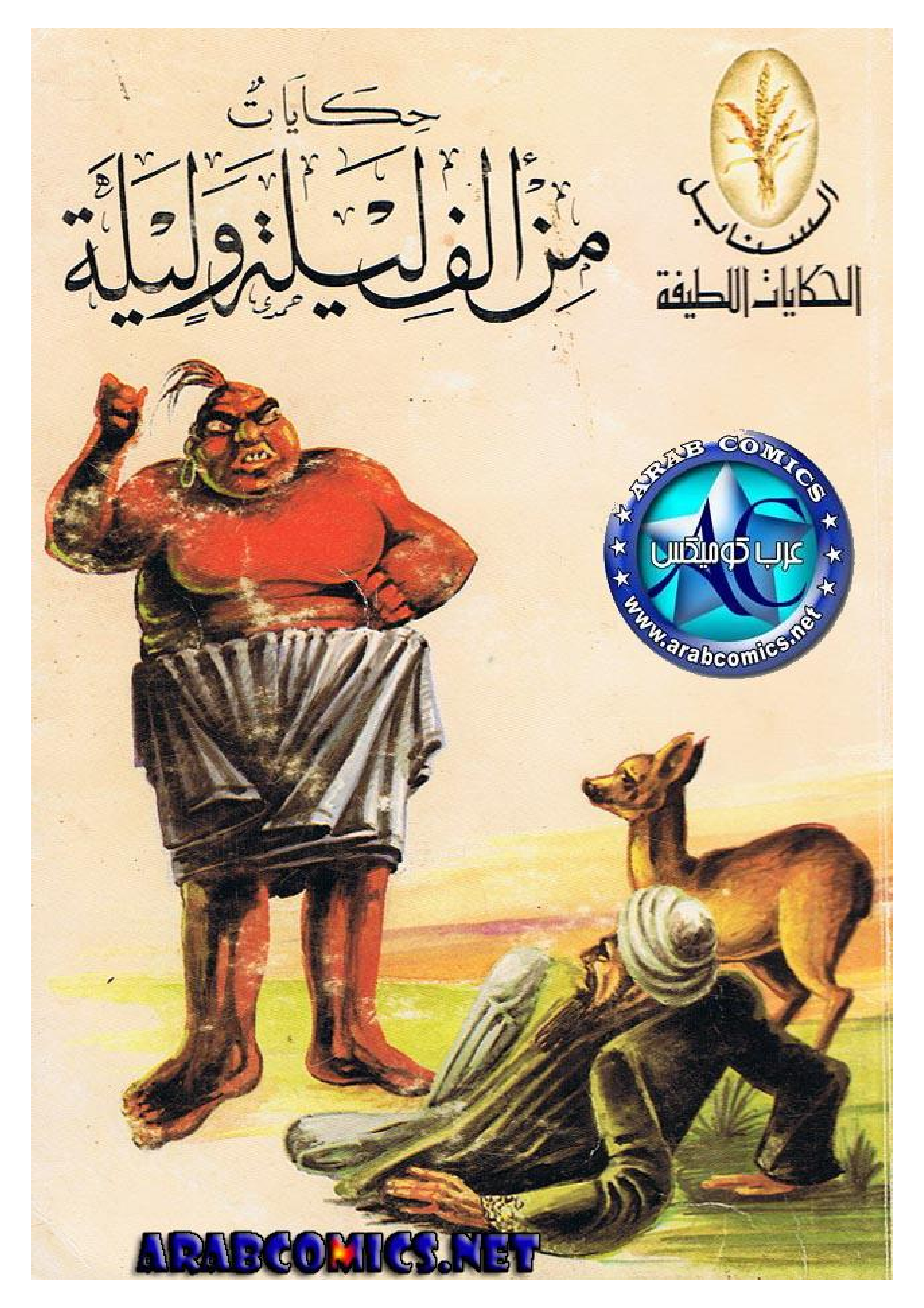

حكايات
من ألف ليلة وليلة
سنابل
الحكايات اللطيفة
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
ARABCOMICS.NET



الحكايات اللطيفة

حكايات من ألف ليلة وليلة



إعداد : حامد علي عطاري

رسوم : حسن عبد الستار

مكتبة لبنان
بيروت

١٠ أ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٤ / ٨٨
الترقيم الدولى : ٦-٦٢-١٤٤٥-٩٧٧ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

الفصلُ الأوّلُ

السُّلْطانُ شَهْرَيارُ و شَهْرَزاد

يُحْكى أَنَّهُ في قَديمِ الزَّمانِ، عاشَ سُلْطانٌ اسْمُهُ شَهْرَيارُ، كانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ جَميلَةٌ، أَوْلاها صادِقَ حُبِّهِ، وَأَغْدَقَ عَلَيْها الهَدايا، وَوَفَّرَ لَها ما تَطْلُبُ.

مَضَتِ الأَعْوامُ وَهُما في أَسْعَدِ حالٍ، وَأَهْدإِ بالٍ. إلى أَنِ اكْتَشَفَ ذاتَ يَوْمٍ أَنَّها تَخونُهُ، فَأَمَرَ وَزيرَهُ بِقَتْلِها.

بَيَّتَ السُّلْطانُ في نَفْسِهِ أَمْرًا؛ إذْ صَمَّمَ عَلى الانْتِقامِ مِنْ بَناتِ حَوّاءَ، وَنَظَرَ إلى وَزيرِهِ قائِلًا: «اِعْلَمْ ياوَزيري، أَنَّ جَميعَ النِّساءِ لا خَيْرَ فيهِنَّ، وَأَنّي عازِمٌ عَلى الزَّواجِ مِنْ فَتاةٍ كُلَّ يَوْمٍ، أَقْتُلُها في صَبيحَةِ اليَوْمِ التّالي.»

اتَّخَذَ شَهْرَيارُ كُلَّ لَيْلَةٍ زَوْجَةً لِيَقْتُلَها في الصَّباحِ. وَراحَ النّاسُ يَهْرُبونَ بِبَناتِهِمْ مِنَ المَدينَةِ خَوْفًا مِنَ المَصيرِ المُفْجِعِ الَّذي يَنْتَظِرُ كُلَّ فَتاةٍ يَتَزَوَّجُها السُّلْطانُ.

وَكانَ لِلْوَزيرِ ابْنَتانِ كُبْراهُما اسْمُها: شَهْرَزادُ. وَكانَتْ ذاتَ جَمالٍ فاتِنٍ، وَشَجاعَةٍ فائِقَةٍ، وَذَكاءٍ نادِرٍ. أَمّا الصُّغْرى فَكانَ اسْمُها: دُنْيازاد. وَاشْتَهَرَتْ بِسُمُوِّ أَخْلاقِها، وَشِدَّةِ حُبِّها لِأُخْتِها شَهْرَزاد.

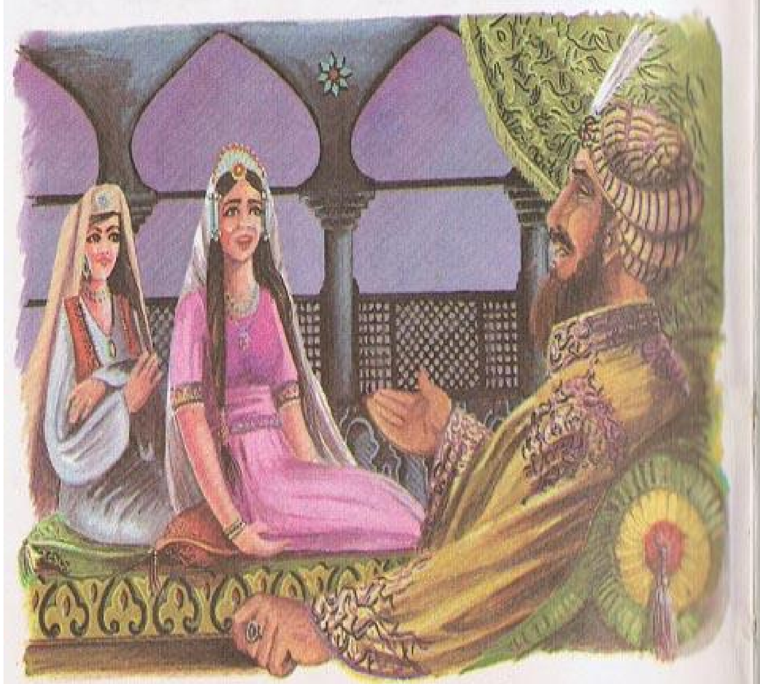
ذاتَ يَوْمٍ قالَتْ شَهْرَزادُ لِأَبيها: «والِدي العَزيزَ، هَلْ تَعِدُني بِأَنْ تُلَبِّيَ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ؟ أَسْتَحْلِفُكَ بِاللهِ أَنْ تُحَقِّقَ لي مَطْلَبي.»

أَجابَها والِدُها: «تَعْلَمينَ، ياشَهْرَزادُ، أَنّي لَنْ أَبْخَلَ عَلَيْكِ بِما يُحَقِّقُ لَكِ السَّعادَةَ في دُنْياكِ. اُطْلُبي ما شِئْتِ وَسَتَجِدينَني طَوْعَ رَغْبَتِكِ.»

عِنْدَئِذٍ صارَحَتْ شَهْرَزادُ أَباها بِرَغْبَتِها فَقالَتْ: «لَنْ أَشْعُرَ بِالسَّعادَةِ يا أَبي، مادُمْتُ أَرى السُّلْطانَ شَهْرَيارَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ يَتَزَوَّجُها في صَبيحَةِ اليَوْمِ التّالي. لَقَدْ أَمَرَكَ السُّلْطانُ أَنْ تَبْحَثَ لَهُ عَنْ زَوْجَةٍ في كُلِّ يَوْمٍ، وَإِنّي شَديدَةُ الرَّغْبَةِ في أَنْ أَكونَ زَوْجَةَ شَهْرَيار. هَلْ لي أَنْ أَطْمَحَ إلى مُوافَقَتِكَ عَلى ذٰلِكَ؟»

لٰكِنَّ الوَزيرَ مانَعَ في ذٰلِكَ، وَقالَ لَها: «كَيْفَ أَفْعَلُ ذٰلِكَ؟ هَلْ مِنَ المَعْقولِ أَنْ أَقودَ ابْنَتي إلى مَوْتِها؟ لا .. لا. لَنْ أُقْدِمَ عَلى ذٰلِكَ.» لٰكِنَّ شَهْرَزادَ لَمْ تَيْأَسْ مِنْ إِقْناعِهِ، بَلْ كَلَّمَتْهُ، بِكُلِّ شَجاعَةٍ، قائِلَةً:

«لَقَدْ وَعَدْتَني أَنْ تُلَبِّيَ مَطْلَبي، وَوَعْدُ الحُرِّ دَيْنٌ عَلَيْهِ. وَكُلّي أَمَلٌ أَنْ تَكونَ عِنْدَ وَعْدِكَ.»



وافقَ الوزيرُ كارهًا ، وقالَ لابنتِهِ : « يعزُّ عليَّ أنْ أقطعَ على نفسي عهدًا ولا أفي بِهِ . وهاأنذا أنزلُ على رغبتِكِ لتكوني زوجةَ السُّلطانِ . »

استدعتْ شهرزادُ شقيقتَها دُنيازادَ وقالتْ لها : « عندما أذهبُ إلى بيتِ السُّلطانِ سأصطحبُكِ ، بعدَ استئذانِهِ . وعليكِ أنْ تطلبي منّي أنْ أُسمِعَكِ كُلَّ ليلةٍ إحدى القصصِ الطريفةِ المسلّيةِ وسأفعلُ ذلكَ . ولكنّي سأتوقّفُ عنْ حكايةِ القصّةِ قبلَ شروقِ الشمسِ ، فيضطرُّ شهريارُ إلى السماحِ لي بأنْ أُكملَها في الليلةِ التاليةِ . وبهذا أُطيلُ حياتي ليلةً بعدَ ليلةٍ ، ولعلَّ شهريار يرجعُ يومًا عمّا أزمعَ ، أوْ يهديني اللهُ إلى وسيلةٍ أمنعُ بها شرَّهُ عنْ فتياتِ المدينةِ . »

في اليومِ التالي تمَّ زفافُ شهرزاد إلى السُّلطانِ شهريار . وذهبتْ إلى القصرِ وصحبتْها أختُها دُنيازادُ . وقبلَ شروقِ الشمسِ بقليلٍ ، أرسلَ شهريار جنديًّا يستدعي السيّافَ مسرورًا لقتلِ شهرزاد ، عندئذٍ دخلتْ دُنيازادُ على شهرزاد وشهريار ، وقالتْ لأختِها : « أختاهُ ! لقدْ جفاني النومُ ، وأراكما لا ترغبانِ في النومِ أيضًا . هلْ لكِ أنْ تُسمِعيني حكايةً لطيفةً منْ حكاياتِكِ الشائقةِ ، كما عوّدتِني دائمًا ؟ »

قالت شهرزادُ:« إذا رغبَ السُّلطانُ في ذلكَ . »

قال شهريارُ : « لِمَ لا ؟ لكما ذلكَ . » ثُمَّ قال في نفسِهِ : إنّها حكايتُكِ الأخيرةُ في هذهِ الدُّنيا ياشهرزادُ .

وبدأتْ شهرزادُ في سردِ أولى حكاياتِ « ألفِ ليلةٍ وليلةٍ » .

الفصلُ الثّاني

الرَّجُلُ الثَّريُّ والجنّيُّ

يُحكى أنَّهُ عاشَ في أحدِ البلدانِ رجلٌ ثريٌّ جدًّا ، جمعَ الكثيرَ منَ الأموالِ وامتلكَ الأراضيَ والبيوتَ . خرجَ ذلكَ الثريُّ يومًا في رحلةٍ إلى مدينةٍ نائيةٍ ، لقضاءِ بعضِ أعمالِهِ التجاريَّةِ ، وحملَ معَهُ في رحلتِهِ ما يحتاجُ إليهِ منْ ماءٍ وسلّةً ملأها بالخبزِ والتمرِ .

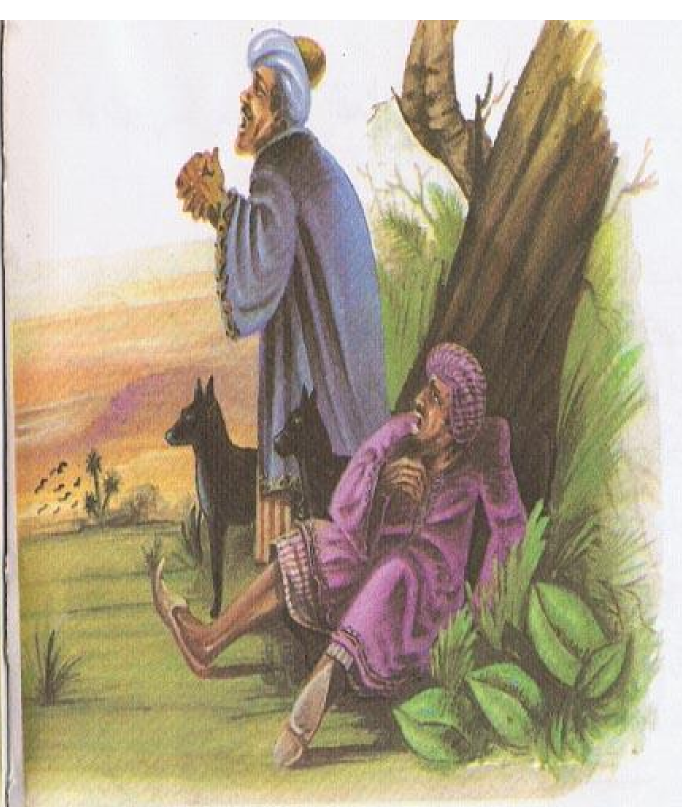
اشتدّتْ حرارةُ الشمسِ فلجأَ إلى ظلِّ شجرةٍ قريبةٍ منْ شاطئِ نهرٍ وجلسَ . وعندما شعرَ بالجوعِ ، مدَّ يدَهُ إلى السلّةِ وأخرجَ منها كسرةً منَ الخبزِ وبضعَ حبّاتٍ منَ التمرِ . وكانَ كلّما أكلَ تمرةً رمى النواةَ خلفَ ظهرِهِ .

ولمّا انتهى منْ تناولِ طعامِهِ ، قصدَ النهرَ وغسلَ وجهَهُ ويديْهِ بماءِ النهرِ ، وحمدَ اللهَ على نعمتِهِ . وفيما هوَ يستعدُّ للنهوضِ ، التفتَ وراءَهُ فرأى جنيًّا واقفًا ، والشررُ يكادُ يتطايرُ منْ عينيْهِ ، وصرخَ الجنيُّ فيهِ صرخةً مدوّيةً قائلًا : « سأقتلُكَ . »

تساءلَ الرجلُ الثريُّ مذعورًا : « لِمَ تريدُ قتلي ؟ أيُّ ذنبٍ ارتكبتُ ؟ »

أجابَ الجنيُّ : « لقدْ قتلتَ ولدي . »

صاحَ الرجلُ الثريُّ : « كيفَ قتلتُ ولدَكَ ، وأنا لمْ أرَهُ في حياتي ؟ »



قالَ ٱلجِنِّيُّ : « أَلَمْ تَكُنْ جالِسًا تَحْتَ تِلْكَ ٱلشَّجَرةِ وأَخْرَجْتَ كِسْرةً مِنَ ٱلخُبْزِ وَبَعْضَ ٱلتَّمْرِ مِنَ ٱلسَّلَّةِ ، وَأَخَذْتَ تُلْقي بِٱلنَّوى خَلْفَ ظَهْرِكَ ؟ »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلثَّرِيُّ : « بَلى ، فَعَلْتُ ذٰلِكَ . »

قالَ ٱلجِنِّيُّ : « مَرَّ وَلَدي وَراءَكَ مُصادَفَةً ، دونَ أَنْ تَراهُ ، فَأَصابَتْهُ نَواةٌ في عَيْنِهِ ، فَماتَ في ٱلحالِ ؛ لِهٰذا سَأَنْتَقِمُ لِوَلَدي مِنْكَ أَشَدَّ ٱلاِنْتِقامِ . »

قالَ ٱلرَّجُلُ ٱلثَّرِيُّ : « لا تُؤاخِذْني بِذَنْبٍ لَمْ أَقْصِدْهُ . أَمَا فَكَّرْتَ ، كَيْفَ يَكونُ حالُ زَوْجَتي وَأَوْلادي بَعْدَ مَوْتي ؟ مَنِ ٱلَّذي سَيَرْعاهُمْ ؟ »



هُنا نَظَرَتْ شَهْرَزادُ إلى ٱلنّافِذةِ وصاحَتْ قائِلَةً : « يا إلٰهي ، لَقَدْ أَشْرَقَتِ ٱلشَّمْسُ . عَلَيَّ ٱلآنَ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ ٱلكَلامِ ، فَعَمّا قَليلٍ يَأْمُرُ ٱلسُّلْطانُ بِقَتْلي . » وَلٰكِنْ دُنْيازاد ٱلَّتي ٱسْتَهْوَتْها ٱلقِصَّةُ أَلَحَّتْ عَلَيْها قائِلَةً : « أُخْتي ٱلحَبيبةَ ، إنَّ حِكايَتَكِ طَريفَةٌ وَعَجيبةٌ . أَرْجوكِ أَنْ تُكْمِليها . »

أَجابَتْها شَهْرَزادُ : « لا أَسْتَطيعُ ذٰلِكَ ، مالَمْ يَتَعَطَّفِ ٱلسُّلْطانُ وَيَمُدَّ في حَياتي يَوْمًا آخَرَ . »

وَما أَسْرَعَ ما أَجابَها ٱلسُّلْطانُ قائِلًا : « لَكِ ذٰلِكَ يا شَهْرَزادُ . سَأَنْتَظِرُ

حتى غدٍ لأسمعَ منكِ بقيةَ قِصتِكِ . لكمْ أعْجَبَتْني ، وإنّي لفي شوْقٍ لِسماعِها ! »

في اللّيْلةِ التّاليةِ واصلَتْ شهْرزادُ حِكايتَها فقالَتْ :

عِنْدَما أدْركَ الرَّجُلُ الثّريُّ أنَّ الجِنّيَّ مُصمِّمٌ على قتْلِهِ قالَ لَهُ : « أيُّها الجِنّيُّ الجبّارُ ، أرْجوكَ أنْ تُمْهِلَني بَعْضَ الوَقْتِ حتّى أعودَ إلى بَيْتي لأرى زَوْجَتي وأوْلادي ، وأتَدبَّرَ شُؤُونَ مَعيشَتِهِمْ مِنْ بَعْدي . وسأعودُ إليْكَ في نَفْسِ هٰذا المَكانِ . »

سَألَهُ الجِنّيُّ : « كَمْ مِنَ الوَقْتِ تُريدُني أنْ أُمْهِلَكَ ؟ »

أجابَ الرَّجُلُ الثّريُّ : « أمْهِلْني عامًا واحِدًا ، وسأعودُ إلَيْكَ بَعْدَ تَمامِهِ ، واللهُ على ما أقولُ شَهيدٌ . »

وَثِقَ الجِنّيُّ بِكَلامِهِ ، وقالَ لَهُ : « لِيَكُنْ لَكَ ذٰلِكَ . »

عادَ الرَّجُلُ الثّريُّ إلى أهْلِهِ ، وقَصَّ علَيْهِمْ ما جرى لَهُ ، وأقامَ عِنْدَهُمْ عامًا تَدبَّرَ فيهِ شُؤُونَ مَعيشَتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِ . ولَمّا حانَ المَوْعِدُ ، جَمَعَ أهْلَهُ وودَّعَهُمُ الوَداعَ الأخيرَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إلى المَكانِ المُحَدَّدِ .

بَيْنَما هُوَ جالِسٌ تَحْتَ الشَّجرةِ يَبْكي سُوءَ حَظِّهِ ، إذا بِشَيْخٍ طاعِنٍ في السِّنِّ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ ومَعَهُ غَزالةٌ . تَعجَّبَ الشَّيْخُ لِرُؤْيةِ الثّريِّ وَحيدًا في ذٰلِكَ المَكانِ ، وسألَهُ :

« ما الّذي جاءَ بِكَ إلى هٰذا المَكانِ ؟ ألا تَعْلَمُ أنَّهُ مأْوى لِلْجِنِّ ؟ هَلْ جِئْتَ تَبْحَثُ عَنْ حَتْفِكَ ؟ »

تَنَهَّدَ الثّريُّ ، والدُّموعُ تَتَساقَطُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وأخْبَرَهُ بِما جرى لَهُ مَعَ

الجِنّيِّ ، وأنَّهُ بانْتِظارِ قُدومِهِ لِيُنَفِّذَ فيهِ الجِنّيُّ القَتْلَ انْتِقامًا لِوَلَدِهِ .

تَعجَّبَ الشَّيْخُ مِمّا سَمِعَ ، وأشْفَقَ علَيْهِ وصَمَّمَ ألّا يَبْرَحَ المَكانَ حَتّى يَرى ما سَيَحْدُثُ لَهُ . وبَيْنَما هُما جالِسانِ تَحْتَ الشَّجرةِ ، إذا بِشَخْصٍ يُقْبِلُ علَيْهِما يَقودُ كَلْبَتَيْنِ سَوْداوَيْنِ . ولَمّا بَلَغَ مَكانَهُما ، حَيّاهُما واسْتَفْسَرَ مِنْهُما عَنْ سَبَبِ وُجودِهِما في ذٰلِكَ المَكانِ المُوحِشِ المَأْهولِ بِالجِنِّ . وما إنْ عَلِمَ بِقِصَّةِ الثّريِّ مَعَ الجِنّيِّ ، حَتّى صَمَّمَ ألّا يُغادِرَ المَكانَ حَتّى يَرى ما سَيَحْدُثُ بَيْنَهُما .

وفيما هُمْ يَرْقُبونَ الجِنّيَّ رَأَوْا مِنْ بَعيدٍ سَحابةً داكِنةً مِنَ الغُبارِ تَتَّجِهُ نَحْوَهُمْ ، ثُمَّ انْقَشَعَتْ عَنِ الجِنّيِّ الّذي انْتَصَبَ أمامَهُمْ ، بِعَيْنَيْنِ يَتَطايَرُ مِنْهُما الشَّرَرُ ، وبِوَجْهٍ عَبوسٍ يَكْشِفُ عَنْ حُبِّ الانْتِقامِ . وصَرَخَ الجِنّيُّ في الثّريِّ قائِلًا : « انْهَضْ ، أيُّها المُجْرِمُ فإنّي قاتِلُكَ لا مَحالةَ ، كما قَتَلْتَ وَلَدي . »

خافَ الرَّجُلانِ ، وأخَذا يَبْكِيانِ ويَرْجُوانِ الجِنّيَّ أنْ يَصْفَحَ عَنِ الثّريِّ ، ويُبْقِيَ على حَياتِهِ ، رَأْفةً بِزَوْجَتِهِ وأوْلادِهِ . ولٰكِنَّ قَلْبَ الجِنّيِّ كانَ قاسِيًا كالصَّخْرِ .

تَقَدَّمَ مِنْهُ الشَّيْخُ الأوَّلُ ، ورَمى بِنَفْسِهِ على قَدَمَيْهِ مُسْتَعْطِفًا ، ثُمَّ قالَ لَهُ : « يا عَظيمَ الجانِّ ، أرْجوكَ أنْ تَسْمَعَني . سأقُصُّ علَيْكَ حِكايَتي مَعَ هٰذِهِ الغَزالةِ . هَلْ تَعِدُني بِأنْ تَهَبَ لِلرَّجُلِ نِصْفَ حَياتِهِ لَوْ وَجَدْتَ قِصَّتي عَجيبةً ، ولَقِيَتْ مِنْكَ القَبولَ ؟ »

أجابَ الجِنّيُّ : « حَسَنًا ! لَكَ عَلَيَّ ذٰلِكَ ، إنْ كانَتْ قِصَّتُكَ غَريبةً عَجيبةً . »

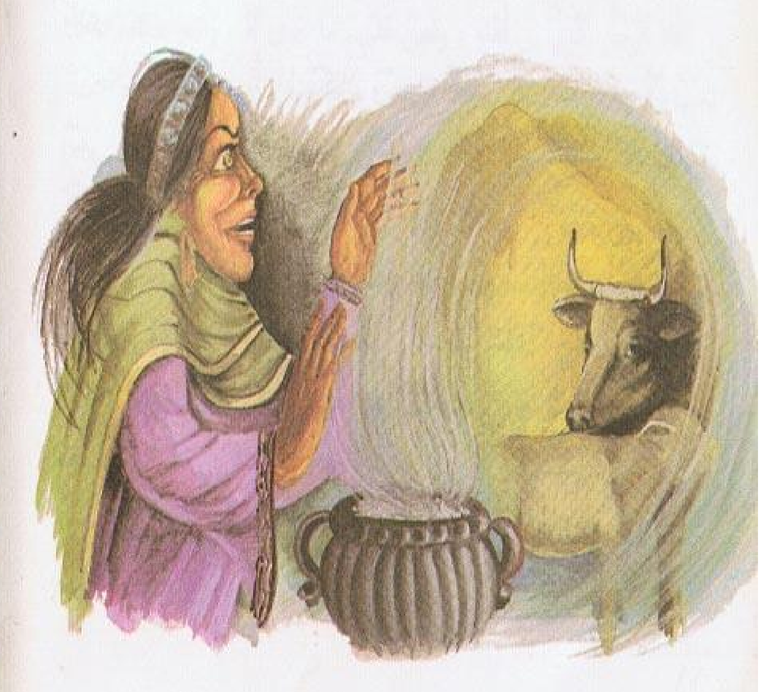
اَلفَصْلُ الثَّالِثُ

حِكايَةُ ٱلشَّيْخِ ٱلأَوَّلِ وَ ٱلغَزالَة

بَعْدَ أَنْ حَمِدَ ٱللهَ عَلى نِعْمَتِهِ ، وَصَلَّى عَلى نَبِيِّهِ ، ٱلْتَفَتَ ٱلشَّيْخُ إِلى ٱلجِنِّيِّ وَقالَ لَـهُ :

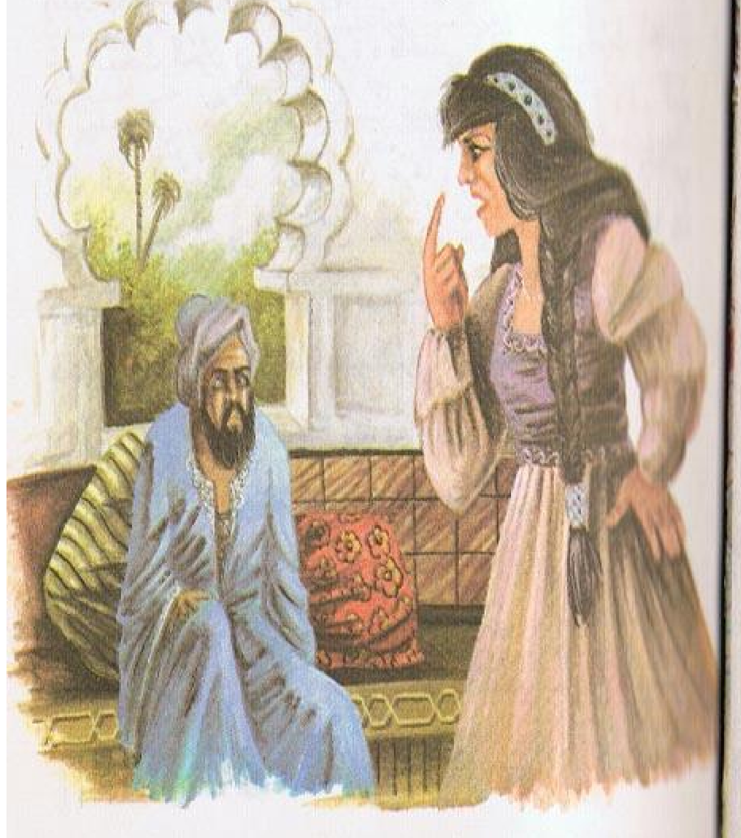
إِعْلَمْ أَيُّها ٱلجِنِّيُّ ، أَنَّ ٱلغَزالَةَ ٱلَّتي تَراها ما هِيَ إِلَّا زَوْجَتي ، وَرَفيقَةُ عُمْري ، تُرافِقُني في سَفَري . تَزَوَّجْتُها مِنْ سَنَواتٍ ، وَلٰكِنِّي لَـمْ أُرْزَقْ مِنْها بِوَلَدٍ يَكونُ قُرَّةَ عُيونِنا ، وَفاكِهَةَ حَياتِنا ٱلزَّوْجِيَّةِ .

وكانَ لِإِحْدَى خادِماتِنا صَبِيٌّ جَميلُ ٱلطَّلْعَةِ ، قَوِيُّ ٱلبِنْيَةِ ، اتَّخَذْتُ مِنْهُ وَلَدًا يَرِثُني مِنْ بَعْدي ، وَيَمْلَأُ عَلَيَّ حَياتي ، وَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا كَما لَوْ كانَ ابْني حَقًّا .



وَمَرَّتِ ٱلأَعْوامُ ، وَأَصْبَحَ وَلَدي شابًّا يافِعًا ، فارِعَ ٱلطُّولِ تَبْدو عَلَيهِ سِيماتُ ٱلنَّجابةِ . وَقَدْ كانَتْ سَعادَتي بِابْني تَكْبُرُ مَعَهُ ؛ غَيْرَ أَنَّ زَوْجَتي لَـمْ تَكُنْ سَعيدةً ، فَقَدْ كانَتِ ٱلغَيْرَةُ تَنْهَشُ قَلْبَها كُلَّـما رَأَتِ ابْني يَمْلَأُ عَلَيَّ حَياتي .

وَحَدَثَ ذاتَ يَومٍ أَنِ اقْتَضَتِ ٱلظُّروفُ أَنْ أَخْرُجَ في سَفَرٍ طَويلٍ . وَقَبْلَ رَحيلي أَوْصَيْتُ زَوْجَتي خَيْرًا بِوَلَدي وَأُمِّهِ رَيْثَما أَعودُ . لٰكِنْ ما إِنْ سافَرْتُ ، حَتّى لَجَأَتْ زَوْجَتي إِلى ساحِرَةٍ تَعَلَّـمَتْ مِنْها فُنونَ ٱلسِّحْرِ ، وَبَرَعَتْ فيهِ ، وَجاءَتْ إلى وَلَدي وَسَحَرَتْهُ عِجْلًا ، وَإِلى أُمِّهِ فَحَوَّلَتْها إِلى بَقَرةٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَتْهُما إِلى حَظيرةِ ٱلماشِيَةِ .



لَـمَّا عُدْتُ مِنْ سَفَري لَـمْ أَجِدْ وَلَدي أَوْ أُمَّهُ ، فَسَأَلْتُ زَوْجَتي عَنْهُما فَادَّعَتْ أَنَّ ٱلوَلَدَ خَرَجَ مُنْذُ شَهْرَيْنِ ــ دُونَ عِلْـمِها ــ وَلَـمْ يَعُدْ ، أَمَّا أُمُّهُ فَقَدْ وافاها أَجَلُها . وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ ، أَيُّها ٱلجِنِّيُّ ، ما لَحِقَني مِنْ حُزْنٍ لِفَقْدِ عَزيزَيْنِ عَلَيَّ . وَقَضَيْتُ ثَمانيةَ أَشْهُرٍ أَبْحَثُ عَنْ وَلَدي ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَعْثُرْ عَلَيْهِ .

بَعْدَ أَيَّامٍ ، وَعِنْدَما حَلَّ عيدُ ٱلأَضْحى ٱلـمُبارَكُ ، عَزَمْتُ عَلى دَعْوَةِ ٱلأَصْدِقاءِ إِلى وَليمَةٍ كُبْرى أُقَدِّمُ فيها صُنوفَ ٱلأَكْلِ ٱلشَّهِيَّةَ .

فَٱسْتَدْعَيْتُ رَئيسَ خَدَمي ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَني بِبَقَرَةٍ سَمينَةٍ أَذْبَحُها ، وَتَكونُ طَعامًا لِضُيوفي ، فَفَعَلَ . وَتَهَيَّأْتُ لِذَبْحِها ، وَما كِدْتُ أَسْتَلُّ ٱلسِّكِّينَ حَتَّى لَـمَحْتُ ٱلحُزْنَ في عَيْنَيِ ٱلبَقَرَةِ ، فَأَخَذَتْني ٱلرَّأْفَةُ بِها ، وَأَمَرْتُ ٱلخادِمَ أَنْ يُبْعِدَها عَنِّي . وَلٰكِنَّ زَوْجَتي كَظَمَتْ غَيْظَها ، وَأَلَحَّتْ قائِلَةً : « لِمَ لَمْ تَذْبَحِ ٱلبَقَرَةَ ؟ أَرْجوكَ أَنْ تَذْبَحَها دونَ غَيْرِها ، إِكْرامًا لِخاطِري . » وَلٰكِنِّي شَعَرْتُ بِعَجْزي عَنْ ذٰلِكَ ، وَأَمَرْتُ ٱلخادِمَ أَنْ يَتَوَلَّى ذٰلِكَ بِنَفْسِهِ . وَما إِنْ ذَبَحَها ، حَتى وَجَدَها خاليةً من ٱللَّحْمِ وَٱلشَّحْمِ ، حَتَّى إِنَّ ٱلطَّاهِيَ قالَ لي : « سَيِّدي ، لا أَسْتَطيعُ أَنْ أُقَدِّمَ هٰذِهِ ٱلبَقَرَةَ ٱلعَجْفاءَ طَعامًا لِضُيوفِكَ . »

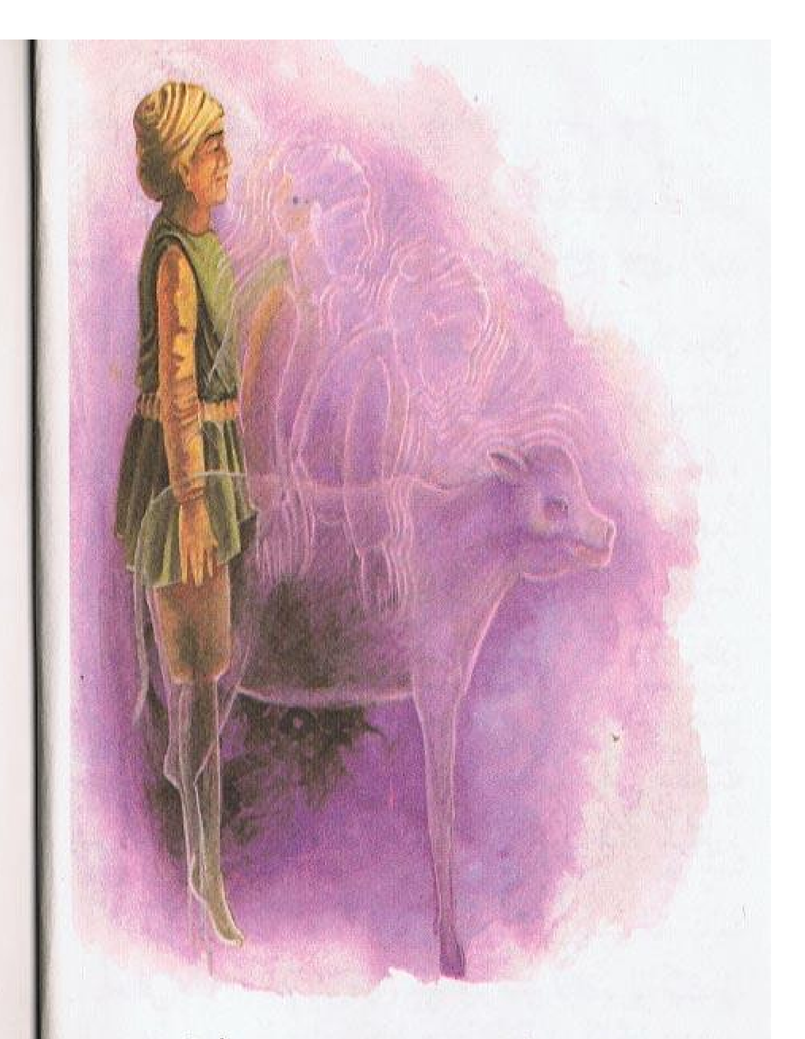
أَصْبَحْتُ في حَيْرَةٍ مِنْ أَمْري . ماذا يَكونُ مَوْقِفي مِنْ ضُيوفي ، لَوْ قَدَّمْتُ لَهُمْ طَعامًا لا لَحْمَ فيهِ وَلا دَسَمَ ؛ وَعِنْدَئِذٍ ٱلْتَفَتُّ إِلى ٱلخادِمِ وَقُلْتُ لَهُ : « جِئْني مِنَ ٱلحَظيرَةِ بِعِجْلٍ سَمينٍ . » فَجاءَني ٱلخادِمُ بِعِجْلٍ سَمينٍ ، وَما إِنْ رَآني العِجْلُ ، حَتَّى أَلْقى بِنَفْسِهِ عَلى قَدَمَيَّ يَلْثِمُهُما ، وَعَيْناهُ مُغْرَوْرِقَتانِ بِٱلدُّموعِ . حِرْتُ في أَمْري ، وَٱسْتَوْلَتْ عَلَيَّ ٱلدَّهْشَةُ لِما أَراهُ ، وَأَمَرْتُ

ٱلخادِمَ أَنْ يُعيدَهُ إِلى ٱلحَظيرَةِ ، وَيَتَوَلَّى ٱلعِنايَةَ بِهِ ، وَيَجيئَني بِعِجْلٍ آخَرَ . وَلٰكِنَّ زَوْجَتي ثارَتْ وَأَسْمَعَتْني كَلامًا قارِصًا ، وَأَصَرَّتْ عَلى أَنْ أَذْبَحَ ٱلعِجْلَ . وَلٰكِنَّ نَفْسي لَـمْ تُطاوِعْني في ذٰلِكَ ، وَجاءَني ٱلخادِمُ بِعِجْلٍ آخَرَ .

في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتَّالي ، جاءَني رَئيسُ خَدَمي ، وَكَلَّمَني عَلى ٱنْفِرادٍ ، وَقالَ لي : « سَيِّدي ! إِنَّ ٱبْنَتي تَعَلَّـمَتِ ٱلسِّحْرَ وَأَتْقَنَتْهُ ، وَقَدْ رَأَتْني أَقودُ ٱلعِجْلَ ، فَضَحِكَتْ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَخَذَتْ في ٱلبُكاءِ . وَلَـمَّا سَأَلْتُها : « عَجيبٌ أَمْرُكِ ، يا ٱبْنَتي . لِـمَ كُنْتِ تَضْحَكينَ ، بَيْنَما أَراكِ ٱلآنَ تَبْكينَ ؟ » أَجابَتْني : « إِنَّ ٱلعِجْلَ ٱلَّذي تَقودُهُ ، ياوالِدي ، هُوَ ابْنُ سَيِّدِنا ٱلشَّيْخِ ، وَقَدْ سَحَرَتْهُ زَوْجَةُ أَبيهِ . وَضَحِكْتُ لِأَنَّ والِدَهُ رَفَضَ أَنْ يَذْبَحَهُ . وَلٰكِنِّي بَكَيْتُ ، لِأَنَّ ٱلخادِمَ ذَبَحَ أُمَّهُ . » لَكَ ٱلآنَ أَنْ تَتَصَوَّرَ ، ياعَظيمَ ٱلجانِّ ما آلَتْ إِلَيهِ حالَتي ، عِنْدَما سَمِعْتُ ما فَعَلَتْهُ زَوْجَتي بِوَلَدي . وَما هِيَ إِلَّا لَحظاتٌ ، حَتَّى اصْطَحَبْتُ رَئيسَ ٱلخَدَمِ إِلى بَيْتِهِ لِأَقِفَ عَلى حَقيقَةِ ٱلخَبَرِ . وَبادَرْتُ ٱلفَتاةَ بِٱلسُّؤالِ : « هَلْ تَسْتَطيعينَ أَنْ تُعيدي ابْني إِلى ما كانَ عَلَيهِ ؟ »

أَجابَتْني بِثِقَةٍ : « نَعَمْ ياسَيِّدي ، إِنِّي أَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ ، لَوْ لَبَّيْتَ لي مَطالِبي . هَلْ تَعِدُني بِأَنْ يَتَزَوَّجَني ابْنُكَ ؟ وَهَلْ تَأْذَنُ لي بِأَنْ أَفْعَلَ بِزَوْجَتِكَ ٱلشِّرّيرَةِ ٱلَّتي حَوَّلَتِ ٱبْنَكَ مِنْ إِنْسانٍ إِلَى عِجْلٍ ما أُريدُ ؟ »

أَسْرَعْتُ بِٱلرَّدِّ عَلَيْها قائِلًا : « لَكِ عَلَيَّ كُلُّ ذٰلِكَ . سَتَكونينَ زَوْجَةَ ابْني ، وَسَأَسْمَحُ لَكِ أَنْ تَفْعَلي بِزَوْجَتي ما تَشائينَ ، عَلى أَلَّا تَقْتُليها . وَٱلآنَ أَخْبِريني ماذا سَتَفْعَلينَ ؟ »



أجابَتْني قائِلَةً : « سأفْعَلُ بِها مِثْلَما فَعَلَتْ بِابْنِكَ . سأُحَوِّلُها مِنْ إنْسانٍ إلى حَيَوانٍ . »

جاءَتِ الفَتاةُ بِقِدْرٍ مِنَ الماءِ ، وَتَلَتْ عَلَيْها التَّعاويذَ السِّحْرِيَّةَ ، ثُمَّ ألْقَتْ بِالماءِ عَلى العِجْلِ . وَما أسْرَعَ ما عادَ العِجْلُ إلى هَيْئَةِ ابْني . وَما إنْ رَأيْتُهُ حَتَّى تَعالَتْ صَيْحاتُ فَرَحي ، وَضَمَمْتُهُ إلى صَدْري ، وَدُموعُ الفَرَحِ تَمْلأُ

ناظِرَيَّ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : « بُنَيَّ الحَبيبَ ، لَقَدْ أنْقَذَتْكَ هٰذِهِ الفَتاةُ ، وَلا شَكَّ أنَّكَ تَقْبَلُها زَوْجَةً لَكَ . »

أمّا زَوْجَتي فَقَدْ سَحَرَتْها الفَتاةُ وَحَوَّلَتْها إلى غَزالَةٍ لِيَكونَ الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ . وَأنا الآنَ في طَريقي إلى زِيارَةِ وَلَدي وَمَعي الغَزالَةُ .

انْتَهى الشَّيْخُ مِنْ قِصَّتِهِ ، فَأبْدى الجِنِّيُّ إعْجابَهُ بِها وَقالَ : « أيُّها الشَّيْخُ ، إنَّ قِصَّتَكَ عَجيبَةٌ . وَقَدْ وَهَبْتُ الرَّجُلَ نِصْفَ حَياتِهِ . وَلٰكِنِّي سَأهَبُ لَهُ النِّصْفَ الآخَرَ مِنْ حَياتِهِ ، لَوْ كانَتْ قِصَّةُ الشَّيْخِ الثّاني أعْجَبَ وَأمْتَعَ . »

* * *

وَهُنا قالَتْ شَهْرَزادُ : « ها هِيَ ذي الشَّمْسُ تُشْرِقُ . وَسَأقُصُّ عَلَيْكُما غَدًا حِكايَةَ الشَّيْخِ الثّاني وَالكَلْبَتَيْنِ السَّوْداوَيْنِ اللَّتينِ كانَ يَقودُهُما . »

في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ ، قالَتْ دُنْيازادُ : « أرْجو أنْ تَحْكي لَنا قِصَّةَ الشَّيْخِ الثّاني ، أنا في شَوْقٍ شَديدٍ إلى سَماعِها . » اعْتَدَلَتْ شَهْرَزادُ في جِلْسَتِها وَبَدَأتْ تَسْرُدُ القِصَّةَ .

اَلْفَصْلُ الرَّابِعُ

حِكايَةُ الشَّيْخِ الثَّاني وَ الكَلْبَتَيْنِ السَّوْداوَيْنِ

قالَ الشَّيْخُ : اِعْلَمْ ـــ ياعَظيمَ الجانِّ ـــ أَنَّ الكَلْبَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَراهُما هُما أَخَوايَ وَأَنا ثالِثُهُما . وَكانَ والِدي قَدْ أَوْصى قَبْلَ مَوْتِهِ بِأَلْفِ دِينارٍ ذَهَبِيٍّ لِكُلِّ واحِدٍ مِنَّا يَسْتَثْمِرُها بِما يَكْفيهِ شَرَّ السُّؤالِ . وَقَدْ أَصَرَّ أَخي الأَكْبَرُ أَنْ يَأْخُذَ نَصيبَهُ ، وَيَخْرُجَ في تِجارَةٍ تُدِرُّ عَلَيْهِ المالَ الكَثيرَ لِيَعودَ إِلى مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَقَدْ أَصْبَحَ مِنْ أَثْرِياءِ المَدينَةِ المَرْموقينَ وَيُنْفِقَ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ ، وَيَعيشَ في بُحْبوحَةٍ .

لٰكِنْ بَعْدَ عامٍ مِنْ خُروجِهِ في تِجارَتِهِ ، فوجِئْتُ بِرَجُلٍ فَقيرٍ عَلى بابي ، بِثيابٍ مُهَلْهَلَةٍ وَشَعْرٍ مَنْفوشٍ ، وَكَأَنَّهُ مِنَ المُتَسَوِّلينَ . سَأَلْتُهُ ما حاجَتُه ، فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقالَ : « هَلْ نَسيتَني ؟ أَلا تَعْرِفُني ؟ » وَلَمَّا أَنْعَمْتُ النَّظَرَ فيه ، أَدْرَكْتُ أَنَّهُ أَخي الأَكْبَرُ .

رَثَيْتُ لِحالِهِ ، وَأَخَذَتْني الشَّفَقَةُ عَلَيْهِ ، وَأَدْخَلْتُهُ بَيْتي ، وَقَدَّمْتُ لَهُ الطَّعامَ وَاللِّباسَ . وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِهِ المُقامُ ، أَخَذَ يَقُصُّ عَلَيَّ ما جَرى لَهُ ، وَكَيْفَ خَسِرَ جَميعَ ما يَمْلِكُ . أَمَّا أَنا فَكانَ اللهُ قَدْ بارَكَ لي في تِجارَتي ، وَكَسَبْتُ أَلْفَ دينارٍ ذَهَبِيٍّ ، وَأَصْبَحَ لَدَيَّ أَلْفانِ مِنَ الدَّنانيرِ ، فَأَعْطَيْتُهُ أَلْفًا لِيَتَدَبَّرَ أُمورَهُ ، وَيَسْعى في سَبيلِ رِزْقِهِ .

أَمَّا أَخي الأَوْسَطُ فَقَدْ جاءَني يَوْمًا ، وَقالَ لي : « لَقَدْ نَوَيْتُ ، يا أَخي ، أَنْ أَقْصِدَ بابَ اللهِ ، وَأَطوفَ البِلادَ ، وَأُمارِسَ البَيْعَ وَالشِّراءَ . وَأَمَلي بِاللهِ أَنْ

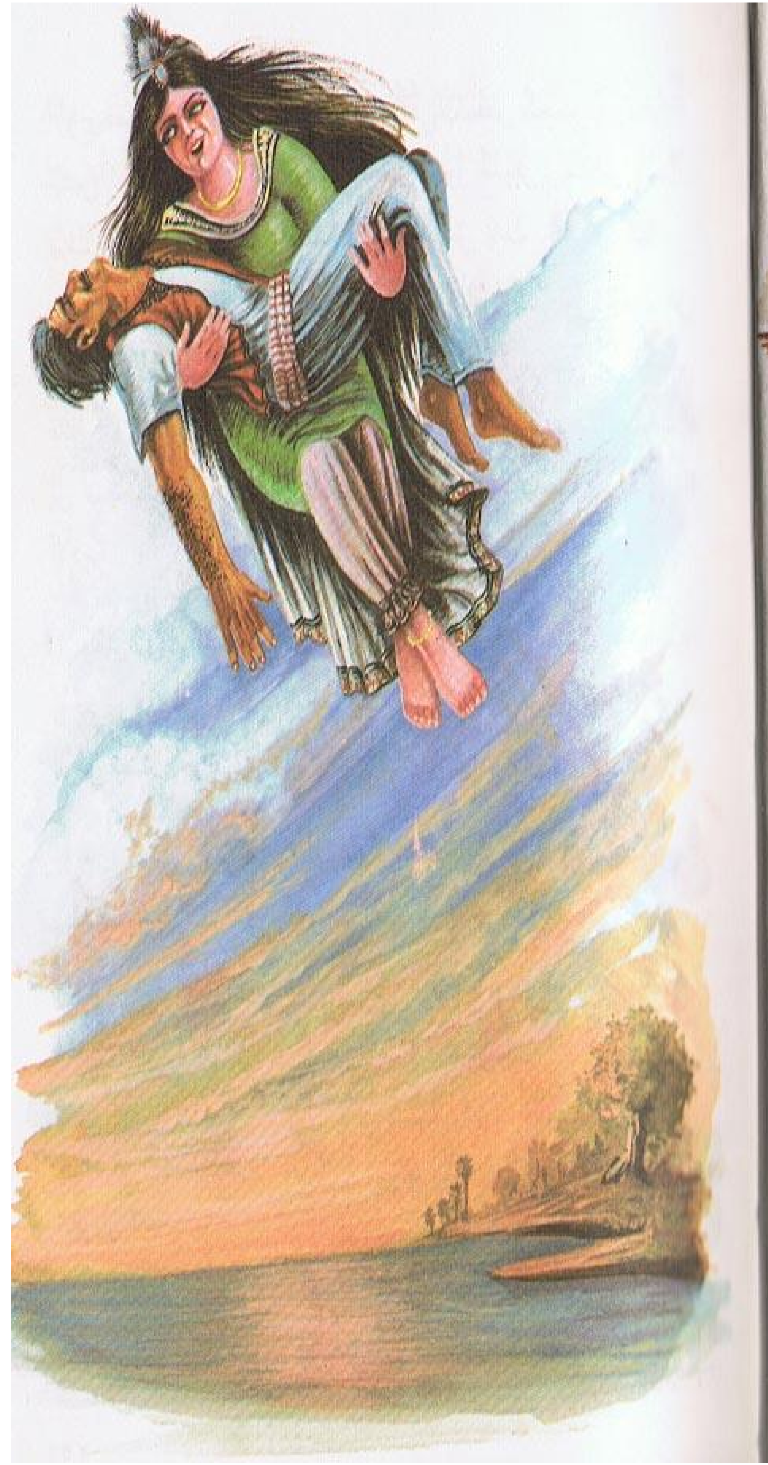
أُوَفَّقَ في تِجارَتي وَأَكْسِبَ الأَموالَ ، حَتَّى إِذا عُدْتُ إِلى بَلَدي ، عِشْتُ حَياةً سَعيدَةً هَنيئَةً . » وَبَعْدَ عامٍ مِنْ خُروجِهِ ، عادَ ، كَما عادَ أَخوهُ الأَكْبَرُ مِنْ قَبْلُ ، لا يَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيا شَيْئًا ، فَقَدْ خَسِرَ جَميعَ تِجارَتِهِ .

وَذاتَ يَوْمٍ جاءَني أَخَوايَ وَقالا : « ما رَأْيُكَ ، لَوْ خَرَجْنا نَحْنُ الثَّلاثَةُ في تِجارَةٍ نَعودُ بَعْدَها وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنا بِالرِّبْحِ الوَفيرِ ، فَنَعيشُ حَياتَنا مُتْرَفينَ . » وَلَمْ أَسْتَجِبْ أَوَّلَ الأَمْرِ لِمَشورَتِهِما ، وَذَكَّرْتُهُما بِما أَصابَ تِجارَتَيْهِما مِنْ بَوارٍ ، وَفِقْدانِ ما كانا يَمْلِكانِ . وَلٰكِنِّي بَعْدَ إِلْحاحِهِما الشَّديدِ ، وافَقْتُهُما غَيْرَ راضٍ . وَأَحْصَيْتُ ثَرْوَتي فَوَجَدْتُها سِتَّةَ آلافِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ أَعْطَيْتُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما أَلْفًا ، وَاحْتَفَظْتُ لِنَفْسي بِأَلْفٍ . أَمَّا الثَّلاثَةُ آلافِ المُتَبَقِّيَةُ ، فَقَدْ أَخْفَيْتُها في مَكانٍ أَمينٍ تَحْتَ أَرْضِيَّةِ غُرْفَتي ، لِأَعودَ إِلَيْها عِنْدَ الحاجَةِ .

جَهَّزَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا بِضاعَتَهُ ، وَاسْتَأْجَرْنا مَرْكَبًا ، وَبَدَأْنا رِحْلَتَنا . وَكُنَّا في كُلِّ بَلَدٍ نَصِلُ إِلَيْهِ ، نَبيعُ وَنَشْتَري ، وَنَرْبَحُ الكَثيرَ . وَانْتَهى بِنا المَطافُ في مَدينَةٍ عَلى شاطِئِ البَحْرِ .

وَبَيْنَما كُنْتُ أَتَمَشَّى ذاتَ يَوْمٍ عَلى الشَّاطِئِ ، إِذا بِامْرَأَةٍ جَميلَةٍ تَرْتَدي ثِيابًا بالِيَةً تَسْتَوْقِفُني وَتُقَبِّلُ يَدي وَتَقولُ : « ناشَدْتُكَ اللهَ أَنْ تَرْأَفَ بِحالي ، وَتَأْخُذَني زَوْجَةً لَكَ ، عَلى سُنَّةِ اللهِ وَرَسولِهِ ، وَتَحْمِلَني عَلى مَرْكَبِكَ . »

رَفَضْتُ طَلَبَها في البِدايَةِ ، وَلٰكِنِّي وافَقْتُ عَلى الزَّواجِ مِنْها بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لي أَنَّها امْرَأَةٌ طَيِّبَةٌ وَصالِحَةٌ . تَزَوَّجْتُها ، وَكانَ حُبّي لَها يَزْدادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . وَحَمَلْتُها إِلى المَرْكَبِ ، وَوَفَّرْتُ لَها جَميعَ أَسْبابِ الرَّاحَةِ . وَحَدَثَ أَنْ





شُغِلْتُ عَنْ أَخَوَيَّ بَعْضَ الشَّيْءِ ، فَغارا مِنّي . وَحَسَداني عَلى ما أَنا فيهِ مِنْ رَغَدِ العَيْشِ وَوَفْرَةِ المالِ ، وَأَضْمَرا لِيَ السُّوءَ . وَأَخَذا يَتَهامَسانِ فيما بَيْنَهُما ، وَلِسانُ حالِهِما يَقولُ : « ماذا أَصابَ أَخانا ، حَتّى أَحَبَّ هٰذِهِ المَرْأَةَ الَّتي لا يَعْرِفُ أَصْلَها ؟ لاشَكَّ أَنَّ ثَرْوَتَهُ سَتَؤولُ إِلَيْها وَحْدَها ، وَلَنْ يُصيبَنا مِنْها شَيْءٌ . »

لَمْ يَجُلْ بِخاطِري أَنَّهُما خَطَّطا لِيَتَخَلَّصا مِنّي ، وَيَضَعا أَيْدِيَهُما عَلى ثَرْوَتي . فَفي إِحْدَى اللَّيالي ، وَبَيْنَما أَنا مُسْتَغْرِقٌ في النَّوْمِ ، تَسَلَّلا إِلى حُجْرَةِ نَوْمي ، وَأَلْقَيا بي وَبِزَوْجَتي في البَحْرِ . وَهُنا وَقَعَتْ لي أَغْرَبُ مُفاجَأَةٍ في حَياتي : فَقَدْ كانَتْ زَوْجَتي حُورِيَّةً ، فَأَسْرَعَتْ تُنْقِذُني ، وَطارَتْ بي في أَعالي الجَوِّ حَتّى حَطَّتْ في جَزيرَةٍ نائِيَةٍ . وَعِنْدَما طَلَعَ الصَّباحُ جاءَتْني وَقالَتْ لي :

« زَوْجِيَ الكَريمَ ، فَلْأُصارِحْكَ . عِنْدَما رَأَيْتُكَ تَتَمَشّى عَلى شاطِئِ البَحْرِ تَوَسَّمْتُ فيكَ الخَيْرَ ، وَوَجَدْتُ فيكَ الزَّوْجَ المُرْتَجى ، فَعَرَضْتُ عَلَيْكَ

الزَّواجَ فَقَبِلْتَ ، وَعامَلْتَني بِإِحْسانٍ . وَسَأَرُدُّ لَكَ بَعْضَ الجَميلِ ، وَأَرْجو أَلّا تَبْتَئِسَ لِما فَعَلَ بِكَ أَخَواكَ ، فَعَلى الجاني تَدورُ الدَّوائِرُ . سَأَطيرُ بِكَ إِلى بَيْتِكَ ، وَسَتَسْتَوْلي عَلَيْكَ الدَّهْشَةُ لِما سَتَراهُ عَلى بابِكَ . »

عِنْدَما وَصَلْتُ إِلى بَيْتي ، رَأَيْتُ هاتَيْنِ الكَلْبَتَيْنِ السَّوْداوَيْنِ تَقِفانِ عَلى البابِ ، فَتَعَجَّبْتُ لِوُجودِهِما . وَلٰكِنَّ زَوْجَتي الحورِيَّةَ أَخْرَجَتْني مِنْ دَهْشَتي قائِلَةً : « إِنَّ الكَلْبَتَيْنِ هُما أَخَواكَ ، وَسَيَبْقَيانِ عَلى هٰذِهِ الهَيْئَةِ عَشْرَ سَنَواتٍ ، إِلى أَنْ تَجيئَني بِهِما في المَكانِ الَّذي سَأُعَيِّنُهُ لَكَ ، لِأُعيدَهُما إِلى صورَتِهِما الآدَمِيَّةِ . »

وَلَقَدِ انْتَهَتِ السَّنَواتُ العَشْرُ ، وَهٰأَنَذا في طَريقي إِلى المَكانِ الَّذي عَيَّنَتْهُ زَوْجَتي . هٰذِهِ هِيَ قِصَّتي كامِلَةً ، أَيُّها الجِنِّيُّ . أَلا تَراها عَجيبَةً ؟ أَلا تَهَبُ لِلرَّجُلِ نِصْفَ حَياتِهِ لِيَعودَ إِلى أَهْلِهِ ؟

قالَ الجِنِّيُّ : « حَقًّا ، إِنَّها قِصَّةٌ شائِقَةٌ وَعَجيبَةٌ . إِنَّها أَفْضَلُ مِنْ سابِقَتِها ، وَإِنّي – بِكُلِّ سُرورٍ – أَهَبُ لَهُ نِصْفَ حَياتِهِ . »

وَفي لَحَظاتٍ تَحَوَّلَ الجِنِّيُّ إِلى سَحابَةٍ ارْتَفَعَتْ في السَّماءِ وَاخْتَفَتْ عَنِ الأَنْظارِ .

ما إِنِ انْتَهَتْ شَهْرَزادُ مِنْ قِصَّةِ الشَّيْخِ الثّاني ، حَتّى خاطَبَتِ السُّلْطانَ شَهْرَيارَ قائِلَةً :

« ياعَظَمَةَ السُّلْطانِ ، إِنَّ القِصَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَمِعْتَهُما لَيْسَتا بِأَفْضَلَ مِنْ قِصَّةِ هارونَ الرَّشيدِ مَعَ الأَعْمى . وَيُؤْسِفُني أَنّي لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَقُصَّها عَلَيْكَ ، لِأَنَّ

الشَّمْسَ قَدْ أَشْرَقَتْ . كَما أَنّي لا أَسْتَطيعُ ذٰلِكَ غَدًا لِأَنّي سَأَكونُ في عِدادِ المَوْتى . وَلٰكِنّي أَسْمَحُ لِنَفْسي – فيما تَبَقّى مِنَ الوَقْتِ – أَنْ أُسْمِعَكَ بِدايَتَها . »

يُحْكى أَنَّ الخَليفَةَ هارونَ الرَّشيد ، أَرِقَ ذاتَ لَيْلَةٍ ، وَلَمْ يَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا ، مِنْ كَثْرَةِ الهَواجِسِ الَّتي انْتابَتْهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ واثِقًا مِنْ أَنَّ شَعْبَهُ يَعيشُ سَعيدًا ، وَيَلْقى المُعامَلَةَ الحَسَنَةَ الَّتي نادى بِها الإِسْلامُ . فَاسْتَدْعى وَزيرَهُ الأَعْظَمَ ، وَقالَ لَهُ :

« إِنَّ حُبّي لِشَعْبي عَظيمٌ ، وَسَهَري عَلى مَصالِحِهِ يَدْفَعُني إِلى تَفَقُّدِ أَحْوالِهِ ، وَمَعْرِفَةِ ما يُعانيهِ . هَلّا خَرَجْنا مَعًا بَيْنَ الحينِ وَالآخَرِ لِنَدْرُسَ عَنْ كَثَبٍ كَيْفَ يَعيشونَ ؟ وَلَوْ وَجَدْتُ واحِدًا مِنْ رَعِيَّتي يُقاسي مَرارَةَ العَيْشِ وَشَظَفَهُ ، لَسارَعْتُ إِلى البَحْثِ عَنِ الأَسْبابِ . »

في إِحْدى اللَّيالي ، خَرَجَ الخَليفَةُ وَكَبيرُ وُزَرائِهِ مُتَنَكِّرَيْنِ في ثِيابِ فَقيرَيْنِ . وَأَخَذا يَطوفانِ الشَّوارِعَ . وَمَرّا بِفَقيرٍ أَعْمى يَسْتَجْدي النّاسَ حَسَنَةً . وَهُنا تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ الكَلامِ ، فَانْدَفَعَ السُّلْطانُ قائِلًا :

« إِنّي في شَوْقٍ لِسَماعِ بَقِيَّةِ قِصَّةِ هارونَ الرَّشيدِ وَالأَعْمى . أَرْجو أَنْ تَفْعَلي ذٰلِكَ غَدًا قَبْلَ شُروقِ الشَّمْسِ . »

الفَصْلُ الخامِسُ

الخَليفةُ وَ الشَّحّاذُ الأَعْمى

ذاتَ لَيْلةٍ ، خَرجَ الخَليفةُ هارون الرَّشيد وكَبيرُ وُزرائِهِ مُتنكِّرَيْنِ في ثيابِ فَقيرَيْنِ لِئَلَّا يَتعرَّفَ عَلَيْهِما أَحَدٌ . وأَخَذا يَتَمَشَّيانِ في شوارِعِ بَغْدادَ ، ثُمَّ رَكِبا قارِبًا صَغيرًا ، وعَبَرا نَهرَ الفُراتِ وتَجوَّلا في الشَّوارِعِ على الضِّفَّةِ الأُخْرى .

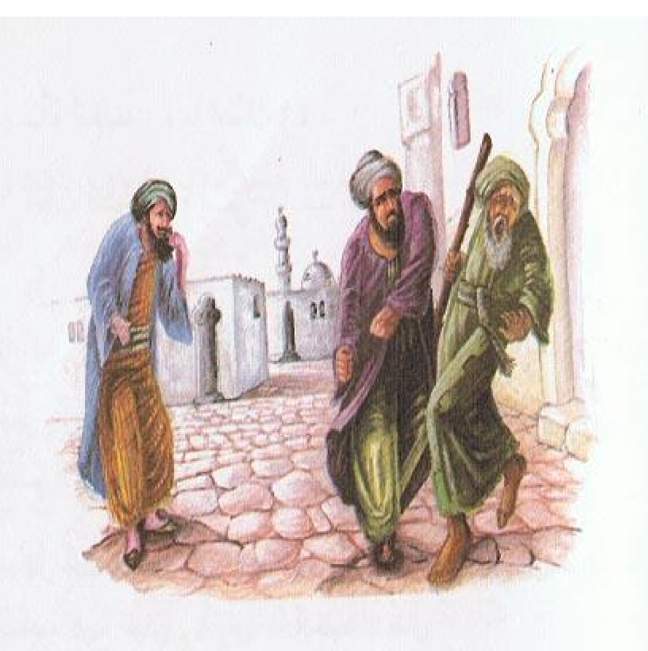
وكَمْ كانَ سُرورُهُما عَظيمًا عِنْدَما وَجَدا أَنَّ الأَمْنَ مُسْتَتِبٌّ ، وكُلَّ شَيْءٍ يَسيرُ عَلى ما يُرامُ . وقَدِ انْتَهى بِهِما المَطافُ عِنْدَ الجِسْرِ المؤدّي إلى قَصْرِ الخَليفةِ . وما إنْ سارا قَليلًا فَوْقَ الجِسْرِ ، حَتّى اسْتَوْقَفَهُما شَحّاذٌ أَعْمى عَجوزٌ ، وقالَ لَهُما :

« أَيُّها السَّيِّدانِ الكَريمانِ ، لَقَدْ قَضَيْتُ اليَوْمَ بِطُولِهِ بِدونِ طَعامٍ ، فَهَلْ لَكُما أَنْ تُحْسِنا إلَيَّ بِشَيْءٍ لِأَشْتَرِيَ طَعامًا ؟ »

مَنَحهُ الخَليفةُ بَعْضَ النُّقودِ ، فَشَكَرَهُ الشَّحّاذُ وَرَجاهُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِقَسْوةٍ ، فَتَحَيَّرَ الخَليفةُ مِمّا سَمِعَ ، وقالَ لَهُ :

« لا أَسْتَطيعُ أَنْ أَفْعَلَ ذٰلِكَ ، احْتِرامًا لِشَيْخوخَتِكَ . أما كَفاكَ أَنَّكَ قَضَيْتَ يَوْمَكَ بِدونِ طَعامٍ ؟ هَلْ لَكَ أَنْ تَقولَ لي لِمَ تَسْأَلُني أَنْ أَضْرِبَكَ ؟ »

قالَ الشَّحّاذُ : « إمّا أَنْ تُنَفِّذَ ما سَأَلْتُكَ أَوْ تَسْتَرِدَّ نُقودَكَ ، فَأَنا لا أَقْبَلُ نُقودًا من أَحَدٍ ، ما لَمْ أَنَلِ العِقابَ تَكْفيرًا عَمّا اقْتَرَفْتُهُ في حَقِّ نَفْسي . وَلَوْ عَرَفْتَ قِصَّتي ، لَما تَوانَيْتَ عَنْ إنْزالِ العِقابِ بي . »



اسْتَجابَ الخَليفةُ لِطَلَبِهِ ، وَضَرَبَهُ بِرِفْقٍ . ولٰكِنَّ الشَّحّاذَ أَصَرَّ على أَنْ يَضْرِبَهُ بِقَسْوةٍ ، فَفَعَلَ الخَليفةُ .

واصَلَ الخَليفةُ والوَزيرُ سَيْرَهُما . وفي الطَّريقِ الْتَفَتَ الخَليفةُ إلى الوَزيرِ قائِلًا : « إنّي حائِرٌ في أَمْرِ هٰذا الشَّحّاذِ العَجوزِ . تُرى هَلْ هُناكَ مِنْ سَبَبٍ يَدْفَعُهُ إلى مِثْلِ هٰذا الطَّلَبِ الغَريبِ ؟ لِمَ أَصَرَّ على أَنْ أَضْرِبَهُ بِقَسْوةٍ ؟ عُدْ إلَيْهِ وأَخْبِرْهُ مَنْ أَكونُ ، ولْيَحْضُرْ إلى قَصْري غَدًا بَعْدَ صَلاةِ المَغْرِبِ . »

عادَ الوَزيرُ ، وأَعْطى الشَّحّاذَ قِطْعَةَ نُقودٍ ذَهَبِيَّةً ، وضَرَبَهُ بِقَسْوةٍ ، وأَبْلَغَهُ ما قالَ الخَليفةُ .

في اليَوْمِ التّالي ، وبَعْدَ صَلاةِ المَغْرِبِ ، اصْطَحَبَ الوَزيرُ الشَّحّاذَ العَجوزَ إلى دِيوانِ الخَليفةِ .

سَأَلَهُ الخَليفةُ : « ما اسْمُكَ ؟ »

أَجابَ الشَّحّاذُ : « اِسْمي بابا عَبْدُ اللهِ . »

قالَ الخَليفةُ : « قُلْ لي ، لِمَ تَطْلُبُ مِمَّنْ يُحْسِنونَ إلَيْكَ أَنْ يَضْرِبوكَ ؟ هَلْ لِطَلَبِكَ هٰذا سَبَبٌ ؟ إنَّ طَلَبَكَ هٰذا يَتَعارَضُ مَعَ القِيَمِ الأَخْلاقِيَّةِ الَّتي نَعْمَلُ عَلى غَرْسِها في نُفوسِ أَبْناءِ دَوْلَتِنا ؛ إذْ لَيْسَ مِنَ الخُلُقِ في شَيْءٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ الأَبْناءُ ضَرْبَ شَيْخٍ في مِثْلِ سِنِّ أَبيهِمْ إنْ لَمْ يَكُنْ أَكْبَرَ . »

قالَ الشَّحّاذُ : « أَرْجو أَنْ يَأْذَنَ لي خَليفةُ المُسْلِمينَ أَنْ أَعْرِضَ عَلى مَسامِعِهِ تاريخَ حَياتي . » وَأَذِنَ لَهُ الخَليفةُ ، فَقالَ :

وُلِدْتُ في بَغْدادَ ، وَماتَ والِدايَ وَأَنا شابٌّ صَغيرٌ . وَتَرَكا لي بَعْضَ المالِ أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ في مَعاشي . وَأَجْهَدْتُ نَفْسي في العَمَلِ ، وَكَسَبْتُ الكَثيرَ مِنَ المالِ ، وَاشْتَرَيْتُ لِنَفْسي ثَمانينَ جَمَلًا اسْتَخْدَمْتُها في تِجارَتي . وَكُنْتُ أَشْتَري بِضاعةً مِنْ بَلَدٍ ، وَأَبيعُها في بَلَدٍ آخَرَ ، فَازْدادَتْ ثَرْوَتي ، وَلٰكِنِ ازْدادَ مَعَها حُبّي لِلْمالِ .

ذاتَ يَوْمٍ انْتَصَفَ النَّهارُ وَكُنْتُ عائِدًا مِنَ البَصْرَةِ ، فَتَوَقَّفْتُ في مَكانٍ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ عَلَفًا لِإِبِلي . وَجَلَسْتُ تَحْتَ شَجَرةٍ لِآخُذَ قِسْطًا مِنَ الرّاحةِ ، وَبَيْنَما أَنا جالِسٌ جاءَني دَرْويشٌ كانَ في طَريقِهِ إلى البَصْرةِ . وَكَما تَعْلَمُ يامَوْلايَ فَإِنَّ الدَّراويشَ يَبيعونَ دُنْياهُمْ في سَبيلِ آخِرَتِهِمْ ، فَهُمْ يَزْهَدونَ في الدُّنْيا وَيَرْغَبونَ في الآخِرةِ ، وَلا يَهْتَمّونَ بِالمالِ . وَدَعَوْتُ الدَّرْويشَ لِيَجْلِس بِجِواري وَيُشارِكَني طَعامي . وَتَبادَلْنا أَطْرافَ الحَديثِ في الحَياةِ الَّتي يَعيشُها

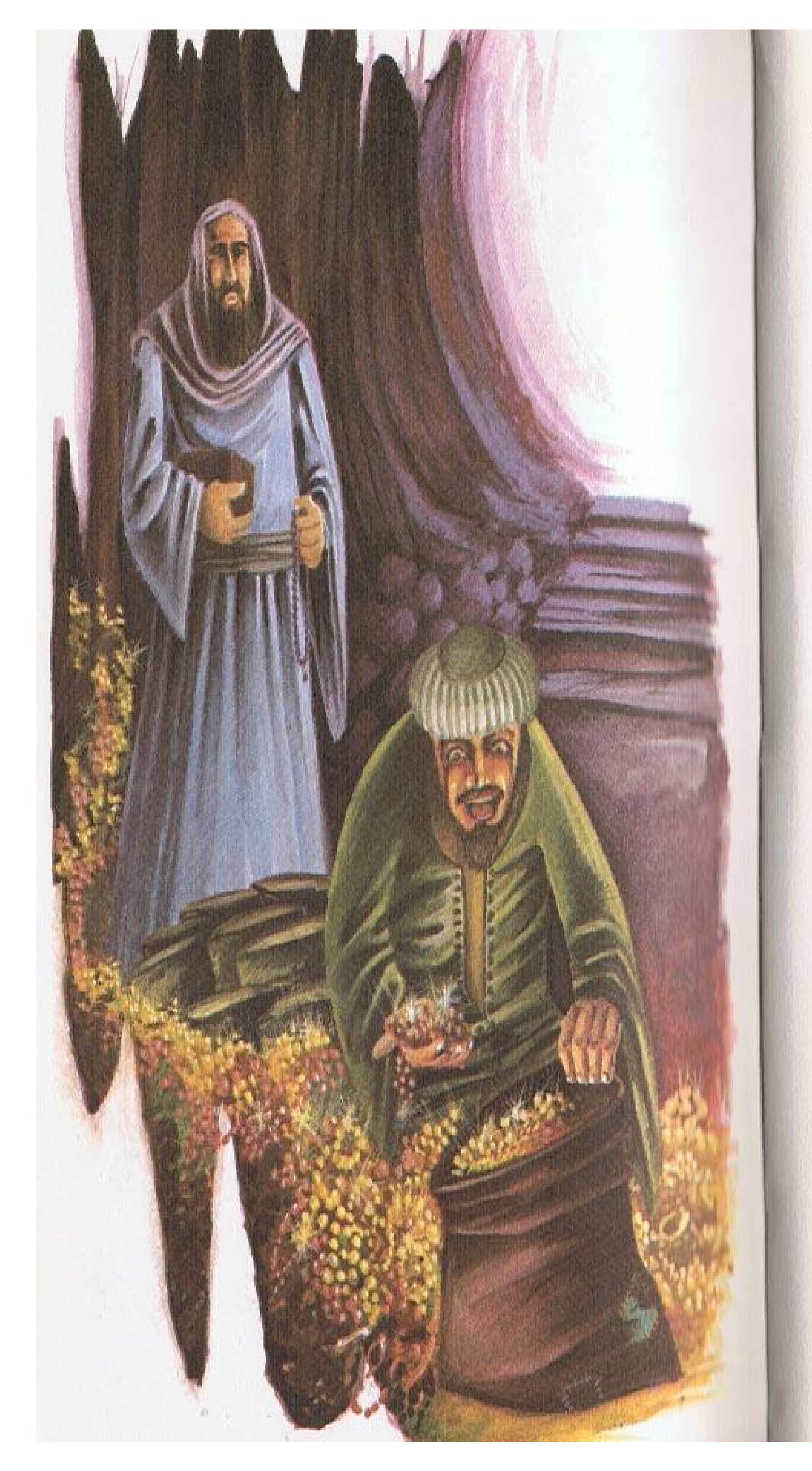
كُلٌّ مِنّا . وَمِمّا قالَهُ لي :

« إنّي عازِفٌ عَنِ المالِ ، وَلَوْ أَرَدْتُ جَمْعَ الذَّهَبِ وَالجَواهِرِ ، لَكانَ لي ذٰلِكَ . فَفي كَهْفٍ قَريبٍ لا تَراهُ العَيْنُ ، أَكْداسٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالجَواهِرِ ، تَنوءُ بِحَمْلِها إِبِلُكَ الثَّمانونَ . »

قُلْتُ لَهُ : « أَيُّها الدَّرْويشُ الصّالِحُ ، إنّي أَعْلَمُ أَنَّ ثَرَواتِ العالَمِ لا تُساوي شَيْئًا في نَظَرِكَ . وَلٰكِنْ ، ماذا تَجْني مِنْ مَعْرِفَتِكَ مَكانَ هٰذِهِ الثَّرَواتِ ؟ إنَّكَ تَمْشي وَحيدًا ، وَلَنْ تَسْتَطيعَ أَنْ تَحْمِلَ إلّا النَّزْرَ اليَسيرَ مِنْها ، هَلْ لَكَ أَنْ تُرْشِدَني إلى مَكانِها ، حَتّى أُحَمِّلَ إِبِلي بِها ، وَسَأُعْطيكَ واحِدًا مِنْها بِحِمْلِهِ . » وَهُنا شَرَدَ ذِهْني ، وَطافَتْ بِمُخَيِّلَتي شَتّى الأَفْكارِ ، فَأَنا مِمَّنْ يَعْشَقونَ الذَّهَبَ ، وَلَوْ أَعْطَيْتُهُ جَمَلًا بِحِمْلِهِ ، لَتَبْقى لي تِسْعةٌ وَسَبْعونَ .

قَرَأَ الدَّرْويشُ ما يَجولُ في ذِهْني ، وَقالَ لي : « اِسْمَعْ أَيُّها الأَخُ ، لَمْ تَكُنْ مُنْصِفًا فيما عَرَضْتَهُ عَلَيَّ . لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ عن الكَهْفِ ظَنًّا مِنّي أَنَّكَ رَجُلٌ صالِحٌ لَنْ تَتَوانى عَنْ شُكْري عَلى صُنْعي ، وَأَنَّكَ تَتَنازَلُ عَنْ نِصْفِها ، فَيُصيبُ الثَّراءُ كِلَيْنا . وَقَبْلَ أَنْ أُرْشِدَكَ إلى الكَهْفِ عَلَيْكَ أَنْ تَقْطَعَ عَلى نَفْسِكَ عَهْدًا بِأَنْ تُعْطِيَني أَرْبَعينَ مِنْها . »

فَكَّرْتُ مَلِيًّا وَسَأَلْتُ نَفْسي : لَوْ أَعْطَيْتُ الدَّرْويشَ نِصْفَها ، لَتَساوَيْنا في الثَّراءِ وَهٰذا ما لا تُطاوِعُني نَفْسي عَلَيْهِ . وَقَلَّبْتُ الأَمْرَ مِنْ جَميعِ نَواحيهِ ، فَرَأَيْتُ أَنْ لا مَفَرَّ مِنَ المُوافَقةِ عَلى ما أَشارَ بِهِ عَلَيَّ ، وَإِلّا فَلَنْ يُصيبَني مِنَ الثَّرْوةِ شَيْءٌ . وَعِنْدَما وَصَلْتُ إلى هٰذا القَرارِ قُلْتُ لَهُ : « سَأُعْطيكَ أَرْبَعينَ جَمَلًا بِحِمْلِها . هَيّا أَرْشِدْني إلى المَكانِ . »



نَهَضَ ٱلدَّرْويشُ ، وَرافَقْتُهُ إلى أنْ وَصَلْنا إلى مَمَرٍّ ضَيِّقٍ بَيْنَ هَضْبَتَيْنِ جَوانِبُهُما قائِمَةٌ يَتَعَذَّرُ عَلى ٱلإنْسانِ تَسَلُّقُها . وَفي نِهايَةِ ٱلْمَمَرِّ تَقومُ صَخْرَةٌ عالِيَةٌ ، لا سَبيلَ إلى ٱلْوُصولِ إلَيْها إلَّا مِنَ ٱلطَّريقِ ٱلَّذي سَلَكْناهُ . وَهُنا أَشْعَلَ ٱلدَّرْويشُ نارًا ، وَأَلْقى عَلَيْها مَسْحوقًا سِحْرِيًّا ، فَانْزاحَتِ ٱلصَّخْرَةُ عَنْ مَدْخَلِ ٱلْكَهْفِ ٱلَّذي نَسْعى إلَيْهِ . وَما هِيَ إلَّا لَحَظاتٌ حَتَّى وَجَدْتُ نَفْسي في داخِلِ ٱلْكَهْفِ ، وَأَكْداسُ ٱلذَّهَبِ وَٱلْجَواهِرِ تُحيطُ بي مِنْ كُلِّ جانِبٍ . فَمَلَأْتُ كيسًا بِٱلذَّهَبِ وَمَلأَ ٱلدَّرْويشُ كيسًا آخَرَ بِٱلْجَواهِرِ ، وَقُلْتُ لِنَفْسي : لِمَ لا أَمْلأُ أَكْياسي بِٱلْجَواهِرِ بَدَلَ ٱلذَّهَبِ ، فَهِيَ أَثْمَنُ ، وَسَتُدِرُّ عَلَيَّ ٱلْمالَ ٱلْوَفيرَ . وَعِنْدَما انْتَهَيْنا مِنْ حَشْوِ ٱلْأَكْياسِ بِٱلذَّهَبِ وَٱلْجَواهِرِ وَتَحْميلِها عَلى ظُهورِ ٱلإبِلِ ، رَأَيْتُ ٱلدَّرْويشَ يُسْرِعُ إلى صُنْدوقٍ ذَهَبِيٍّ كَبيرٍ في أَقْصى ٱلْكَهْفِ ، وَيُخْرِجُ مِنْهُ صُنْدوقًا خَشَبِيًّا صَغيرًا . وَأَشْعَلَ ٱلدَّرْويشُ ٱلنَّارَ ثانِيَةً ، وَأَلْقى فيها مَسْحوقًا سِحْرِيًّا وَتَلا بَعْضَ ٱلتَّعاويذِ ٱلسِّحْرِيَّةِ ، وَإذا بِٱلْكَهْفِ يُغْلَقُ ثانِيَةً ، وَتَعودُ ٱلصَّخْرَةُ إلى مَكانِها .

ساقَ كُلٌّ مِنَّا أَرْبَعينَ جَمَلًا ، وَسِرْنا حَتَّى وَصَلْنا إلى مُفْتَرَقِ طَريقَيْنِ ، أَحَدُهُما يُؤَدِّي إلى ٱلْبَصْرَةِ وَٱلْآخَرُ إلى بَغْدادَ . وَقَبْلَ أَنْ نَفْتَرِقَ ، وَيَسْلُكَ ٱلدَّرْويشُ ٱلطَّريقَ إلى ٱلْبَصْرَةِ وَأَتَّجِهَ أَنا إلى بَغْدادَ ، شَكَرْتُهُ عَلى جَميلِ صُنْعِهِ ، وَتَمَنَّيْتُ لَهُ سَفَرًا مَيْمونًا ، وَسَعادَةً دائِمَةً . وَما كِدْتُ أَسيرُ قَليلًا ، حَتَّى قُلْتُ لِنَفْسي : ما ٱلَّذي يُريدُهُ ٱلدَّرْويشُ مِنْ هٰذِهِ ٱلثَّرَواتِ ؟ إنَّهُ لَيْسَ بِحاجَةٍ إلَيْها ، إنَّهُ يَعْرِفُ كَيْفَ يَفْتَحُ ٱلْكَهْفَ في أَيِّ وَقْتٍ يَشاءُ ، وَيَأْخُذُ مِنْهُ ما يَشاءُ .

أَوْقَفْتُ إبِلي ، وَعُدْتُ إلَيْهِ مُسْرِعًا وَقُلْتُ لَهُ : « أَخي ، إنَّكَ مِنَ ٱلزَّاهِدينَ

في ٱلدُّنيا ، وَٱلرَّاغِبينَ في ٱلآخِرةِ . وَستَكونُ هٰذِهِ ٱلثَّرواتُ عِبئًا عَلَيْكَ يُورِثُكَ ٱلشَّقاءَ . لا تَنسَ أَنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يُحْسِنونَ سَوْقَ ٱلإِبِلِ ، وَلا مِمَّنْ يَعْرِفونَ كَيْفَ يَسوسونَها . إِنَّ ٱلحِكْمَةَ تَقْضي أَلّا تَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثينَ جَمَلًا مِنْها ، مَعَ أَنَّكَ سَتَجِدُ مُنْتَهى ٱلصُّعوبَةِ في سَوْقِها . »

نَظَرَ ٱلدَّرْويشُ إِلَيَّ وَقالَ : « لَقَدْ أَصَبْتَ فيما قُلْتَ ، وَلَمْ أَفْطَنْ إِلى ذٰلِكَ . هَيّا خُذْ عَشَرَةً مِنْها . »

اِخْتَرْتُ أَفْضَلَ عَشَرَةٍ ، وَعُدْتُ إِلى إِبِلي . وَنَظَرْتُ خَلْفي لِأَرى ٱلْمَسافَةَ ٱلَّتي قَطَعَها ، فَكانَتْ غَيْرَ طَويلَةٍ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُسْرِعَ بِما مَعَهُ مِنَ ٱلإِبِلِ ، وَهُنا حَدَّثَتْ نَفْسي قائِلًا : لَقَدْ كانَ مِنَ ٱليَسيرِ عَلَيَّ أَنْ أَسْتَرْجِعَ عَشَرَةً . لِمَ لا أُحاوِلُ اسْتِرْجاعَ ٱلمَزيدِ مِنْها ؟ نادَيْتُهُ بِأَعْلى صَوْتي ، وَسِرْتُ نَحْوَهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « أَخي ٱلدَّرْويشَ ، يَتَعَذَّرُ عَلى مَنْ لا يُحْسِنُ سَوْقَ ٱلإِبِلِ أَنْ يَسوقَ ثَلاثينَ مِنْها ، وَخَيْرٌ لَكَ وَأَسْلَمُ لَو أَعْطَيْتَني عَشَرَةً أُخْرى . »

لَمْ يَتَرَدَّدِ ٱلدَّرْويشُ وَأَجابَ طَلَبي وَبِذا أَصْبَحَ ما لَدَيَّ سِتّينَ جَمَلًا . وَكَما يَقولُ ٱلمَثَلُ : « كُلَّما زادَ مالُكَ زادَ جَشَعُكَ » ، فَقَدْ وَجَدْتُ نَفْسي أَعودُ إِلَيْهِ لِلْمَرَّةِ ٱلثّالِثَةِ ، قائِلًا : « يادَرْويشَ ٱلخَيرِ ، لَنْ يَقِرَّ لي قَرارٌ ، وَلَنْ أَشْعُرَ بِالسَّعادَةِ ، كُلَّما تَصَوَّرْتُكَ تَسوقُ هٰذا ٱلقَطيعَ مِنَ ٱلإِبِلِ مَعَ جَهْلِكَ ٱلتّامِّ بِسَوْقِها . ما ٱلَّذي سَيَحِلُّ بِكَ لَوْ هَرَبَتْ مِنْكَ ٱلإِبِلُ ، أَوْ عَضَّكَ أَحَدُها ساعةَ ٱلهِياجِ ، وَعَضَّةُ ٱلجَمَلِ مُميتةٌ ؟ بِمَيْسورِكَ أَنْ تَسوقَ حِمارًا ، وَتَذْهَبَ إِلى ٱلكَهْفِ في أَيِّ وَقْتٍ شِئْتَ ، وَتَأْخُذَ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلجَواهِرِ ما أَرَدْتَ ، ثُمَّ إِنَّكَ دَرْويشٌ يَكْفيكَ ٱلنَّزْرُ ٱليَسيرُ مِنْها .. أَما دارَ بِخَلَدِكَ ماذا سَيَقولُ ٱلنّاسُ

عَنْكَ ، لَوْ رَأَوكَ تَسوقُ عِشرينَ جَمَلًا تَحمِلُ ٱلذَّهَبَ وَٱلجَواهِرَ ؟ إِنَّ أَوَّلَ سُؤالٍ يَقولونَهُ : مِنْ أَيْنَ لِلدَّرْويشِ هٰذا ؟ وَسَيَتَّهِمونَكَ بِاللُّصوصيَّةِ ، سَيَقولونَ عَنْكَ إِنَّكَ لِصٌّ في ثِيابِ دَرْويشٍ . »

ما إِنْ سَمِعَ ٱلدَّرْويشُ تَصَوُّراتي ٱلَّتي عَرَضْتُها عَلَيْهِ ، حَتّى تَنازَلَ عَنْ بَقيَّةِ ٱلإِبِلِ ، وَقالَ : « تَذَكَّرْ يابُنَيَّ أَنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلمالَ لِيُسْعِدَ ٱلتُّعَساءَ ، وَيُعينَ ٱلمُحْتاجينَ ، وَأَنَّ ٱلثَّرَواتِ تَتَبَدَّدُ حينَ نَكْتَنِزُها لِأَنْفُسِنا فَقَطْ . تَذَكَّرْ يابُنَيَّ أَنَّ ٱلطَّمَعَ لا يُفيدُ . »

ضَحِكْتُ مِمّا قالَ ، ثُمَّ تَذَكَّرْتُ ٱلصُّنْدوقَ ٱلخَشَبيَّ ٱلصَّغيرَ ٱلَّذي أَخَذَهُ مِنَ ٱلكَهْفِ وَاحْتَفَظَ بِهِ لِنَفْسِهِ . قُلْتُ لِنَفْسي : لَعَلَّ ٱلصُّنْدوقَ يَحْتَوي عَلى ما هُوَ أَفْضَلُ مِمّا حَمَلْناهُ عَلى ظُهورِ ٱلإِبِلِ ، وَبادَرْتُهُ بِالسُّؤالِ : « ما ٱلَّذي سَتَفْعَلُهُ بِذٰلِكَ ٱلصُّنْدوقِ ٱلصَّغيرِ ؟ هَلْ تَنْوي أَنْ تَأْخُذَهُ مَعَكَ ؟ » وَما أَسْرَعَ ما قَدَّمَهُ لي قائِلًا : « إِلَيْكَ ٱلصُّنْدوقَ أَيُّها ٱلصَّديقُ ، إِنْ كانَ سَيُسْعِدُكَ . »

فَتَحْتُ ٱلصُّنْدوقَ فَوَجَدْتُ في داخِلِهِ زُجاجَةَ زَيْتٍ صَغيرَةً . وَلَمّا سَأَلْتُهُ عَنْ فائِدَةِ ٱلزَّيْتِ قالَ : « اِعْلَمْ ، ياأَخي ، أَنَّهُ سِحْريٌّ . لَوْ وَضَعْتَ قَليلًا مِنْهُ عَلى عَيْنِكَ ٱليُسْرى ، لَتَكَشَّفَتْ لَكَ كُنوزُ ٱلأَرْضِ من ذَهَبٍ وَجَواهِرَ . وَلٰكِنْ ، حَذارِ ، إِنْ مَسَّ ٱلزَّيْتُ عَيْنَكَ ٱليُمْنى أُصيبَتْ بِالعَمى . »

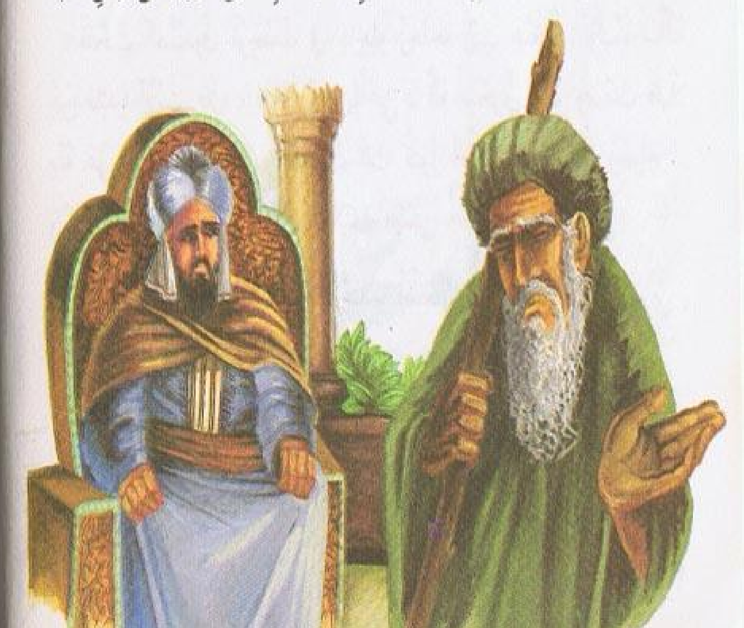
وَكَمْ كانَتْ فَرْحَتي عَظيمةً ، عِنْدَما أَطْلَعَني عَلى سِرِّ ٱلزَّيْتِ ٱلسِّحْريِّ ، وَتُقْتُ بِشِدَّةٍ لِتَجْرِبَتِهِ فَقُلْتُ لَهُ :

« دَعْني أُجَرِّبْهُ ، وَأَرْجو أَنْ تَتَكَرَّمَ بِأَنْ تَقومَ بِذٰلِكَ لِأَنَّكَ تَعْرِفُ طَريقَةَ اسْتِعْمالِهِ خَيْرًا مِنّي . »

أخذَ الدَّرويشُ الصُّندوقَ وقالَ لي : « أغلِقْ عينَكَ اليُسرى . » ، ثُمَّ وضَعَ إصبَعَهُ في الزَّيتِ ولامسَ عيني اليُسرى . وما إنْ فتحتُها حتَّى تكشَّفَ لي ما في باطِنِ الأرضِ مِنْ ذهَبٍ وفِضَّةٍ وجواهِرَ . رأيتُ كنزًا مطمورًا تحتَ إحدى الأشجارِ ، وآخرَ تحتَ بيتٍ مُتداعٍ ، وآخرَ تحتَ مَجرى أحدِ الأنهارِ ، وآخرَ في باطِنِ الطَّريقِ الَّتي كُنتُ أقِفُ عليها .

اعترتني الدَّهشةُ لِما أرى وسألتُهُ : « إنّي لا أستطيعُ أنْ أُبصِرَ جيِّدًا تلكَ الكنوزَ بعينٍ واحدةٍ . هلْ لكَ أنْ تضعَ بعضَ الزَّيتِ على عيني اليُمنى ؟ » فأجابني الدَّرويشُ : « لكَ ذلكَ ، إنْ كانتْ هذهِ رغبتَكَ . ولكنّي أعودُ فأُذكِّرُكَ بأنَّ الزَّيتَ لو مسَّ عينَكَ اليُمنى لفقدْتَ بصرَكَ . »

على أنّي – بيني وبينَ نفسي – لمْ أُصدِّقْ ما قالَ ، بلْ ظننتُ أنَّهُ يُخفي عليَّ سِرًّا سِحريًّا مِنْ أسرارِ الزَّيتِ . فألححْتُ عليهِ بقولي : « لستُ أدري ، كيفَ يجعلُ هذا الزَّيتُ لإحدى العينينِ قُدرةً خارقةً على الرُّؤيةِ على حينِ يُفقِدُ



العينينِ معًا القُدرةَ على الإبصارِ . لقدْ عمِلتَ الكثيرَ مِنْ أجلي ، ولا حاجةَ إلى التَّشاجُرِ في أمرٍ غيرِ ذي بالٍ . ناشدْتُكَ اللهَ أنْ تفعلَ ما طلبتُهُ . »

نُزولًا على رغبتي ، نفَّذَ الدَّرويشُ ما طلبتُهُ . وما إنْ وضعَ قليلًا مِنَ الزَّيتِ على عيني اليُمنى ، حتَّى أحسستُ بأنّي وسْطَ ظلامٍ دامسٍ ، إذْ فقدْتُ بصري – كما تراني – ياخليفةَ المُسلمينَ . بعدَها صرختُ بأعلى صوتي : « أنظُرْ أيُّها الدَّرويشُ ما فعلَهُ حُبّي للذَّهبِ . أما مِنْ سبيلٍ لإعادةِ بصري إليَّ ؟ » نظرَ إليَّ الدَّرويشُ ، وقالَ :

« أيُّها الإنسانُ سيِّئُ الحظِّ ، لقدْ كانَ الجزاءُ مِنْ جنسِ العملِ ، ونِلتَ العِقابَ الَّذي تستحقُّهُ . إنَّ عمى قلبِكَ أدَّى إلى عمى بصرِكَ ، وإنّي عاجزٌ عنْ إعادةِ بصرِكَ إليكَ . ولتعلَمْ أنَّ هذهِ الثَّرواتِ الَّتي جمعْتَها بجشعِكَ ، ستؤولُ إلى غيرِكَ ممَّنْ هُمْ في حاجةٍ إليها ، وسيحمدونَ اللهَ على ما ساقَهُ إليهِمْ مِنْ نِعَمٍ . »

ساقَ الدَّرويشُ الإبلَ ، وبقيتُ وحدي على قارعةِ الطَّريقِ ، إلى أنْ مرَّ بي ، في اليومِ التّالي ، جماعةٌ مِنَ المُسافرينَ أخذوني إلى بغدادَ . وهأنذا أعيشُ على ما يُقدِّمُهُ لي المُحسنونَ . وحتَّى أُكفِّرَ عمّا اقترفتُهُ بحقِّ نفسي ، تراني أشترِطُ على المُحسنينَ أنْ ينزلوا بي أشدَّ العِقابِ . هذهِ قِصَّتي ، ياأميرَ المؤمنينَ .

ما إنْ سمِعَ الخليفةُ قصَّةَ الرَّجُلِ حتَّى قالَ : « بابا عبدَ اللهِ ، حقًّا لقدِ ارتكبْتَ خطأً جسيمًا ، ولكنَّ عقابَكَ كانَ أعظمَ . منذُ هذهِ اللَّحظةِ لنْ

ينالَكَ أَدْنى عِقابٍ . وَسَأَهَبُ لَكَ بَيْتًا تَعيشُ فيهِ ، وَأُجْري عَلَيْكَ مالًا يَفي بِقَضاءِ حاجاتِكَ اليَوْمِيَّةِ . »

جَثا بابا عَبْدُ اللهِ عِنْدَ قَدَمَي الخليفةِ ، وَقالَ لَهُ : « ياأَميرَ المُؤْمِنينَ ، لا يَسَعُني إِلّا أَنْ أَتَمَنّى لَكَ السَّعادةَ حَتّى أُخْرَياتِ أَيّامِكَ ، كَما أَتَمَنّى أَنْ يَسْمَعَ النّاسُ بِما صَنَعْتَ مَعي مِنْ جَميلٍ . »

هُنا وَصَلَتْ شَهْرَزادُ إِلى نِهايَةِ حِكايَتِها ، ثُمَّ نَظَرَتْ إِلى السُّلْطانِ وَقالَتْ : « لَدَيَّ قِصَّةٌ أُخْرى عَنِ الخليفةِ هارونَ الرَّشيدِ ، أَحَدِ أَعْظَمِ الحُكّامِ وَأَكْثَرِهِمْ حِكْمَةً وَحَصافَةً . وَمَعَ هٰذا لا يَتَرَفَّعُ أَحْكَمُ النّاسِ عَنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ غُلامٍ . وَأَراني عاجِزَةً عَنْ حِكايَتِها لَكَ ، لِأَنَّ الشَّمْسَ قَدْ أَشْرَقَتْ . وَلٰكِنَّكَ قَدْ تَجِدُ مِنْ بَيْنِ العُلَماءِ وَالأُدَباءِ في ديوانِكَ مَنْ يَعْرِفُ قِصَّةَ عَلي كوجيا وَالخليفةِ هارونَ الرَّشيدِ . »

وَلٰكِنَّ السُّلْطانَ أَجابَها بِقَوْلِهِ : « قَدْ لا أَجِدُ مِنْ بَيْنِ العُلَماءِ وَالأُدَباءِ في ديواني مَنْ يَعْرِفُ هٰذِهِ القِصَّةَ الَّتي أَرْغَبُ في سَماعِها . لِذٰلِكَ سَأُبْقي عَلى حَياتِكِ يَوْمًا آخَرَ لِتَقُصّيها عَلَيَّ قَبْلَ شُروقِ شَمْسِ الغَدِ . »

الفَصْلُ السّادِسُ

القاضي الغُلامُ

في عَهْدِ هارونَ الرَّشيدِ ، عاشَ في بَغْدادَ رَجُلٌ اسْمُهُ عَلي كوجيا . قَضى حَياتَهُ بِلا زَوْجَةٍ أَوْ أَوْلادٍ . وَكانَ لَهُ دُكّانٌ صَغيرٌ يَبيعُ فيهِ الحَلْوى وَالأَلْعابَ لِلأَطْفالِ الَّذينَ كانَ يُحِبُّهُمْ . وَكانَ مُتَوَسِّطَ الحالِ ، تَفي أَرْباحُهُ بِجَميعِ حاجاتِهِ بَلْ تَزيدُ . وَقَدِ اسْتَطاعَ أَنْ يَدَّخِرَ أَلْفَ دينارٍ ذَهَبِيٍّ لِيُنْفِقَ مِنْها في مَرَضِهِ وَشَيْخوخَتِهِ .

ذاتَ لَيْلَةٍ ، بَيْنَما كانَ غارِقًا في نَوْمِهِ ، سَمِعَ هاتِفًا يُناديهِ : « ياعَلِيُّ إِنَّكَ مِنْ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ . لِمَ لا تَقْصِدُ بَيْتَ اللهِ الحَرامَ في مَكَّةَ ؟ اُذْكُرْ قَوْلَهُ تَعالى في كِتابِهِ العَزيزِ (وَلِلّهِ عَلى النّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلًا) صَدَقَ اللهُ العَظيمِ . إِنَّكَ قادِرٌ عَلى أَداءِ هٰذِهِ الفَريضَةِ ، بِما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ مِنْ صِحَّةٍ وَمالٍ . »

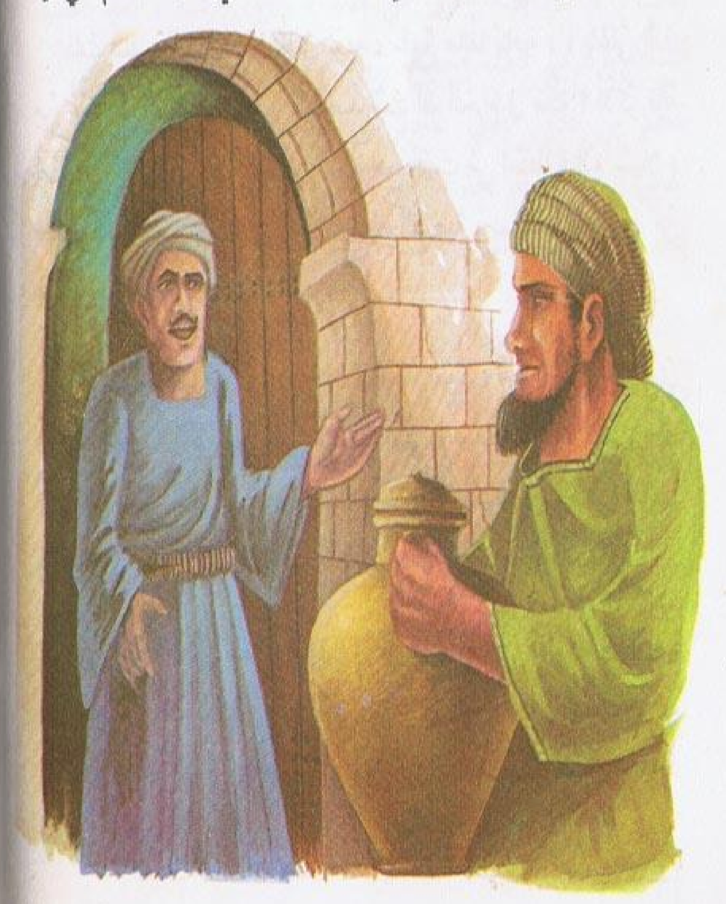
وَعِنْدَما اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ ، خاطَبَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : أَجَلْ ، عَلَيَّ أَنْ أُؤَدِّيَ فَريضَةَ الحَجِّ . وَلٰكِنْ يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ أَتْرُكَ بَيْتي وَأَصْدِقائي ، لِذا لابُدَّ لي أَنْ أُكْثِرَ مِنْ عَمَلِ الخَيْرِ ، وَالتَّصَدُّقِ عَلى الفُقَراءِ ، وَبَعْدَها لَنْ يَجيئَني الهاتِفُ وَيَدْعوني إِلى زِيارَةِ مَكَّةَ لِلطَّوافِ بِالكَعْبَةِ المُشَرَّفَةِ وَأَداءِ بَقِيَّةِ الشَّعائِرِ .

لٰكِنْ عِنْدَما تَكَرَّرَ سَماعُ الهاتِفِ في نَوْمِهِ ، عَزَمَ عَلى تَنْفيذِ ما أَمَرَهُ بِهِ ، فَجاءَ بِصَديقٍ لَهُ وَأَسْكَنَهُ في بَيْتِهِ يَرْعى شُؤُونَهُ في غِيابِهِ . وَباعَ الدُّكّانَ وَما فيهِ وَاشْتَرى بِضاعَةً لِيُتاجِرَ بِها في سَفَرِهِ ، وَاشْتَرى جَمَلًا يُحَمِّلُ عَلَيْهِ بِضاعَتَهُ .

ثُمَّ أَخَذَ يُسائِلُ نَفْسَهُ : ما عَساي أَفْعَلُ بِٱلأَلْفِ دينارٍ الَّتي ادَّخَرْتُها ، والَّتي لا أَستطيعُ أَخْذَها مَعي ؟ هَلْ أُخْفيها في مَكانٍ أَمينٍ إلى حِينِ عَوْدَتي ؟

بَعْدَ أَنْ فَكَّرَ طَويلًا قالَ لِنَفْسِهِ : سَأَشْتَري قِدْرًا كَبيرةً مِنْ تِلْكَ ٱلقُدورِ الَّتي يُخَلَّلُ فيها ٱلزَّيْتونُ . وَسَأَضَعُ ٱلدَّنانيرَ في قَعْرِها ، وَأَمْلَأُها بِمُخَلَّلِ ٱلزَّيْتونِ ٱلأَخْضَرِ وَأُحْكِمُ إِقْفالَها ، وَأُودِعُها حُسَيْنًا صَديقي ، لِيَحْفَظَها لي في دُكّانِهِ ٱلمُجاوِرِ لِدُكّاني .

ذَهَبَ عَلِيٌّ إلى صَديقِهِ حُسَيْنٍ وَقالَ لَهُ : « ياأَخي ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنّي في



طَريقي إلى مَكَّةَ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَتَكَرَّمَ فَتَحْفَظَ لي هٰذِهِ ٱلقِدْرَ إلى حِينِ عَوْدَتي ؟ »

رَحَّبَ حُسَيْنٌ بِذٰلِكَ وَقالَ لِصاحِبِهِ : « سَأَفْعَلُ ما طَلَبْتَ مِنّي بِكُلِّ سُرورٍ . إِلَيْكَ مِفْتاحَ دُكّاني ، وَضَعِ ٱلقِدْرَ في ٱلمَكانِ ٱلَّذي تُحِبُّ ، وَسَتَجِدُها في ٱلمَكانِ نَفْسِهِ عِنْدَ عَوْدَتِكَ بِٱلسَّلامَةِ . »

بَعْدَ عِدَّةِ أَيّامٍ ، انْطَلَقَ عَلِيٌّ عَلى جَمَلِهِ ، مُحَمَّلًا بِما يَسْتَطيعُ بَيْعَهُ في مَكَّةَ . وَبَعْدَ أَنْ طافَ بِٱلكَعْبَةِ ، وَصَلّى في بَيْتِ ٱللهِ ٱلحَرامِ ، وَأَدّى بَقِيَّةَ شَعائِرِ ٱلحَجِّ ، أَخَذَ يَعْرِضُ بِضاعَتَهُ عَلى زُوّارِ بَيْتِ ٱللهِ ٱلحَرامِ .

ذاتَ يَوْمٍ ، وَقَفَ شَخْصانِ وَأَخَذا يَسْتَعْرِضانِ ما لَدى عَلِيٍّ مِنْ بِضاعَةٍ . قالَ أَحَدُهُما عَلى مَسْمَعٍ مِنْهُ : « عَلى صاحِبِ ٱلبِضاعَةِ أَنْ يَقْصِدَ بِها ٱلقاهِرَةَ ، حَيْثُ يَبيعُها بِثَمَنٍ أَعْلى وَيَحْصُلُ عَلى مالٍ أَكْثَرَ . »

عِنْدَئِذٍ عَزَمَ عَلِيٌّ عَلى ٱلذَّهابِ إلى ٱلقاهِرَةِ . وَهُناكَ حَقَّقَتْ تِجارَتُهُ رَواجًا وَرِبْحًا وَفيرًا وَاشْتَرى بَضائِعَ مِصْرِيَّةً باعَها في دِمَشْقَ . وَمِنْ دِمَشْقَ رَحَلَ إلى مَدينَةِ حَلَب ، ثُمَّ عَبَرَ نَهْرَ ٱلفُراتِ إلى مَدينَةِ ٱلمَوْصِلِ حَيْثُ ٱلْتَقى بَعْضَ تُجّارِ ٱلفُرْسِ وَرافَقَهُم إلى بِلادِ فارِس ، وَمِنها تابَعَ سَفَرَهُ إلى بِلادِ ٱلهِنْدِ .

مَضى عَلى غِيابِ عَلِيٍّ مُنْذُ غادَرَ بَغْدادَ سَبْعُ سَنَواتٍ . وَخِلالَ تِلْكَ ٱلمُدَّةِ لَمْ يَخْطِرْ عَلِيٌّ بِبالِ صَديقِهِ حُسَيْنٍ ، بَلْ لَمْ يُفَكِّرْ في قِدْرِ ٱلزَّيْتونِ ٱلَّتي ٱئْتَمَنَهُ عَلَيْها .

قَبْلَ شَهْرٍ مِنْ عَوْدَةِ عَلِيٍّ قالَتْ زَوْجَةُ حُسَيْنٍ لَهُ : « لَقَدْ مَضى زَمَنٌ طَويلٌ

لَمْ نَذُقْ فيهِ لِلزَّيْتونِ ٱلأَخْضَرِ طَعْمًا . هَلْ لَكَ أَنْ تَجيئَني بِقَليلٍ مِنْهُ ؟ »
فَأَجابَها : « هَلْ تَتَذَكَّرينَ ؟ مُنْذُ سَبْعِ سَنَواتٍ تَرَكَ عِنْدي عَلي كوجيا قِدْرًا مِنَ ٱلزَّيْتونِ ، وَإِنّي مُتَأَكِّدٌ مِنْ وَفاتِهِ بَعْدَ هٰذِهِ ٱلغَيْبَةِ ٱلطَّويلَةِ . لِماذا لا نَأْكُلُ ٱلزَّيْتونَ ٱلَّذي أَوْدَعَني إِيّاهُ ؟ أَنا ذاهِبٌ لِإِحْضارِ ٱلقِدْرِ . »

لٰكِنَّ زَوْجَتَهُ رَفَضَتْ ذٰلِكَ ، وَقالَتْ لَهُ : « حَرامٌ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ ذٰلِكَ ، فَقَدْ يَعودُ ، وَيَكْتَشِفُ أَنَّكَ فَتَحْتَ ٱلقِدْرَ . مِنَ ٱلـمُؤَكَّدِ أَنَّ ٱلزَّيْتونَ قَدْ فَسَدَ ، وَلٰكِنَّني أُحِسُّ في قَرارَةِ نَفْسي بِأَنَّ عَلِيًّا كوجيا سَيَعودُ يَوْمًا ما . ما ٱلَّذي سَيَظُنُّهُ بِكَ لَوْ فَتَحْتَ ما ٱئْتَمَنَكَ عَلَيْهِ ؟ إِيّاكَ إِيّاكَ أَنْ تَفْعَلَ ما ٱنْتَوَيْتَهُ . »

لٰكِنَّ حُسَيْنًا ضَرَبَ بِنَصيحَتِها عُرْضَ ٱلحائِطِ ، وَذَهَبَ إِلى ٱلدُّكّانِ وَفَتَحَ ٱلقِدْرَ . وَكانَتِ ٱلطَّبَقَةُ ٱلعُلْيا مِنَ ٱلزَّيْتونِ فاسِدَةً تَنْبَعِثُ مِنْها رائِحَةٌ كَريهَةٌ ، فَأَخَذَ يُلْقي بِٱلفاسِدِ مِنَ ٱلزَّيْتونِ إِلى أَنْ عَثَرَ أَخيرًا عَلى ٱلدَّنانيرِ ٱلذَّهَبِيَّةِ في قَعْرِ ٱلقِدْرِ .

عادَ حُسَيْنٌ إِلى زَوْجَتِهِ وَقالَ لَها : « لَقَدْ كُنْتِ عَلى صَوابٍ حينَما قُلْتِ بِأَنَّ ٱلزَّيْتونَ فاسِدٌ ، فَقَدْ وَجَدْتُهُ كَذٰلِكَ . » ثُمَّ ساءَلَ نَفْسَهُ : كَيْفَ أَحْتَفِظُ لِنَفْسي بِٱلدَّنانيرِ ٱلذَّهَبِيَّةِ إِذا ما عادَ عَلي كوجيا ؟

أَعْمَلَ فِكْرَهُ طَويلًا ، وَوَجَدَ ٱلسَّبيلَ إِلى ذٰلِكَ . غادَرَ ٱلبَيْتَ وَٱشْتَرى كَمِّيَّةً مِنَ ٱلزَّيْتونِ ٱلطّازَجِ ، ثُمَّ أَفْرَغَ ٱلقِدْرَ مِنَ ٱلزَّيْتونِ ٱلفاسِدِ وَمَلَأَها بِٱلزَّيْتونِ ٱلَّذي ٱشْتَراهُ ، وَأَحْكَمَ إِقْفالَها وَأَعادَها إِلى مَكانِها .

بَعْدَ مُضِيِّ شَهْرٍ ، عادَ عَلي كوجيا إِلى بَغْدادَ ، وَقَصَدَ مَنْزِلَ صَديقِهِ حُسَيْنٍ . وَما إِنْ رَآهُ حُسَيْنٌ حَتّى أَسْرَعَ لِلِقائِهِ وَٱلتَّرْحيبِ بِمَقْدِمِهِ ، وَهَنَّأَهُ عَلى وُصولِهِ بِٱلسَّلامَةِ . ثُمَّ تَحَدَّثَ ٱلرَّجُلانِ بَعْضَ ٱلوَقْتِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ عَلي كوجيا لِلْخُروجِ قالَ لِصَديقِهِ : « هَلْ لي أَنْ آخُذَ قِدْرَ ٱلزَّيْتونِ ٱلَّتي تَرَكْتُها وَديعَةً عِنْدَكَ ؟ » فَرَحَّبَ حُسَيْنٌ بِذٰلِكَ وَأَعْطاهُ مِفْتاحَ ٱلدُّكّانِ .

عادَ عَلي كوجيا بِٱلقِدْرِ إِلى بَيْتِهِ ، وَأَفْرَغَها مِنَ ٱلزَّيْتونِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدِ ٱلدَّنانيرَ ، فَعادَ مُسْرِعًا إِلى بَيْتِ حُسَيْنٍ وَقالَ لَهُ : « أَيُّها ٱلصَّديقُ ، لَقَدْ وَضَعْتُ أَلْفَ دينارٍ ذَهَبِيٍّ في قَعْرِ ٱلقِدْرِ ، وَلٰكِنَّني لَمْ أَجِدِ ٱلدَّنانيرَ . رُبَّما دَعَتْكَ حاجَتُكَ إِلى ٱلـمالِ فَأَخَذْتَهُ ، عَلى أَنْ تُعيدَهُ إِلَيَّ بَعْدَ عَوْدَتي . كُلُّ ما أَرْجوهُ مِنْكَ أَنْ تُعيدَ إِلَيَّ مالي حينَما يَتَيَسَّرُ لَكَ ذٰلِكَ . »

أَنْكَرَ حُسَيْنٌ ذٰلِكَ وَرَدَّ قائِلًا : « ثِقْ ، أَيُّها ٱلصَّديقُ ، أَنّي ما لَمَسْتُ قِدْرَكَ قَطُّ . لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ ، يَوْمَذاكَ ، مِفْتاحَ دُكّاني لِتَضَعَ ٱلقِدْرَ حَيْثُ شِئْتَ ، ها أَنْتَ ذا قَدْ وَجَدْتَها لَمْ تَتَزَحْزَحْ مِنْ مَكانِها . لا تَنْسَ أَنَّكَ عِنْدَما تَرَكْتَها وَديعَةً عِنْدي ، قُلْتَ إِنَّها قِدْرُ زَيْتونٍ ، وَلَمْ تُشِرْ إِلى ٱلدَّنانيرِ مِنْ قَريبٍ أَوْ بَعيدٍ . »

أَخَذَ عَلي كوجيا يُؤَكِّدُ لَهُ أَنَّ ٱلدَّنانيرَ ٱلذَّهَبِيَّةَ كانَتْ في قاعِ ٱلقِدْرِ ،وَلٰكِنَّ حُسَيْنًا ٱسْتَمَرَّ في إِنْكارِهِ قائِلًا :

« ياعَلِيُّ لَقَدِ ٱئْتَمَنْتَني عَلى قِدْرِ ٱلزَّيْتونِ . وَها أَنْتَ ذا بَعْدَ غِيابِ سَبْعِ سَنَواتٍ ، تَدَّعي بِأَنَّ في ٱلقِدْرِ دَنانيرَ ذَهَبِيَّةً . لِمَ لا تَدَّعي بِأَنَّكَ مَلَأْتَ ٱلقِدْرَ بِٱلجَواهِرِ ، وَتُطالِبُني بِدَفْعِ قيمَتِها ؟ لَقَدْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ ٱقْتِناعًا بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ

في القِدْرِ زيْتونٌ أوْ ذهَبٌ أوْ جواهِرُ أوْ أيُّ شيْءٍ آخَرَ بلْ كانتْ فارِغةً . »

وأمامَ إصْرارِ حُسَيْنٍ على الإنْكارِ قالَ عليٌّ : « إذًا فلْنَتحْتَكِمْ إلى القضاءِ ، فالقاضي يَعْرِفُ القانونَ ، ويُميِّزُ بيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، وبيْنَ الصِّدْقِ والكَذِبِ . وسيَأْمُرُكَ بأنْ تُعيدَ إليَّ مالي . »

في اليَوْمِ التّالي ، مَثَلَ الاثْنانِ أمامَ القاضي الّذي سألَ عليًّا قائِلًا : « ياعَلِيُّ ، هلْ رآكَ أحَدٌ تَضَعُ الذَّهَبَ في القِدْرِ ؟ »

أجابَ عليٌّ : « كلّا ياسيِّدي القاضي ، فقدْ كُنْتُ وحْدي لَمْ يَرَني أحَدٌ . »

سألَهُ القاضي : « هلْ أنْبأْتَ زوْجَتَكَ بما فعَلْتَ ؟ »

أجابَ عليٌّ : « كلّا ، لأنّي لَسْتُ مُتزوِّجًا . »

سألَهُ القاضي : « هلْ أخْبرْتَ أيَّ شخْصٍ آخرَ بذلِكَ ؟ »

أجابَ عليٌّ : « كلّا ياصاحبَ الفضيلةِ . »

سألَ القاضي حُسَيْنًا : « هلْ كُنْتَ تعْلَمُ بوجودِ الذَّهَبِ في القِدْرِ ؟ »

أجابَ حُسَيْنٌ : « كلّا ياسيِّدي القاضي . لقدْ أخْبرَني بأنَّ القِدْرَ مملوءةٌ زيْتونًا ، فصدَّقْتُهُ . »

سألَهُ القاضي : « هلْ فتَحْتَ القِدْرَ ؟ »

أجابَ حُسَيْنٌ : « كلّا ، فقدْ وضَعَها بنفْسِهِ في مكانٍ في دُكّاني ، ولَمْ

تمْتَدَّ يدي إليْها مُنْذُ وضَعَها . »

عِنْدئِذٍ قرَّرَ القاضي أنَّهُ لا يوجَدُ ما يُثْبِتُ حَقَّ عليٍّ فيما يدَّعيهِ .

اِسْتاءَ علي كوجيا أشَدَّ الاسْتياءِ مِنْ قرارِ القاضي ، وعزَمَ على رفْعِ الشَّكْوى إلى الخليفةِ هارون الرّشيد بعْدَ عوْدَتِهِ مِنْ صلاةِ الفجْرِ . وما إنْ تسلَّمَ الخليفةُ الشَّكْوى حتّى قالَ : « أنا في حَيْرةٍ مِنْ هذِهِ الشَّكْوى ، ولا أجِدُ ما يَهْديني للفَصْلِ فيها . إمّا أنْ يكونَ عليٌّ لِصًّا ، أوْ ساذَجًا وثِقَ أكْثَرَ مِنَ اللّازِمِ في أمانةِ صديقِهِ . كيْفَ يُمكِنُ للمَرْءِ أنْ يعْلَمَ إنْ كانتْ قِصَّتُهُ صادِقةً أوْ مُخْتلَقةً لابْتِزازِ ألْفِ دينارٍ مِنْ حُسَيْنٍ ؟ »

طلَبَ الخليفةُ مِنْ كبيرِ الوُزراءِ أنْ يَسْتَدْعيَ كُلًّا مِنْ علي كوجيا وحُسَيْنٍ إليْهِ في صباحِ اليوْمِ التّالي . وفي مَساءِ ذلِكَ اليوْمِ ، خرَجَ الخليفةُ والوزيرُ مُتنكِّرَيْنِ في ثيابِ فقيرَيْنِ . وأخَذا يتَمشَّيانِ في شوارِعِ المدينةِ ، وفي أحَدِ الشَّوارِعِ سمِعا ضجيجًا ، ثُمَّ رأيا بابَ غُرْفةٍ يُفْتَحُ قليلًا . نظَرا خِلالَ شَقِّ البابِ فرأيا مَجْموعةً مِنَ الصِّبْيةِ يلْعَبونَ في تلْكَ الغُرْفةِ . أخَذا يُراقِبانِهم ويَسْتَمِعانِ إلى ما يقولونَ .

تكلَّمَ أحَدُ الصِّبْيةِ وقالَ : « إنَّ عليًّا كوجيا رجُلٌ طيِّبٌ ، فقدْ كانَ يبيعُ لنا الألْعابَ والحلْوى . وكثيرًا ما كانَ يُعْطينا الحلْوى بدونِ مُقابِلٍ . إنَّهُ رجُلٌ صادِقٌ لا يكْذِبُ . وقدْ كانَ القاضي مُخْطِئًا في حُكْمِهِ . »

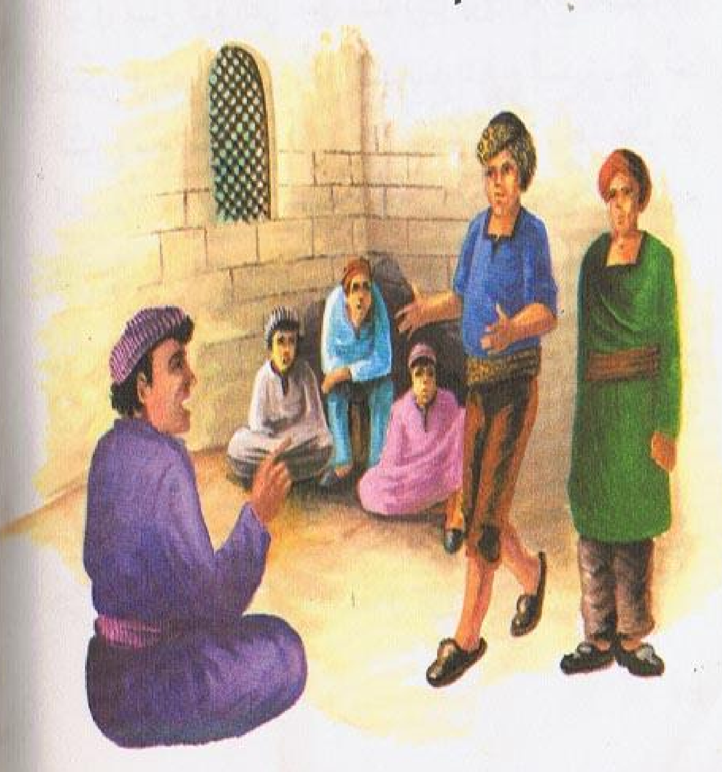
ردَّ عليْهِ صبيٌّ آخرُ قائِلًا : « لقدْ تغيَّبَ علي كوجيا سبْعَ سنَواتٍ . ربَّما تغيَّرَ سلوكُهُ أثْناءَها فأصْبحَ لا يصْدُقُ في أقْوالِهِ . »

تَكَلَّمَ صَبيٌّ ثالِثٌ اسْمُهُ فارِسٌ فَقالَ : « هَلْ لَنا أَيُّها الإِخوةُ ، أَنْ نُناقِشَ قَضِيَّةً هيَ حَديثُ المَدينةِ ؟ لٰكِنِ القاضيَ الَّذي يَحْكُمُ في القَضِيَّةِ . أَنْتَ ، ياكَريمُ ، سَتَقومُ بِدَوْرِ عَلي كوجيا أَمّا أَنْتَ يازِيادُ ، فَسَتَقومُ بِدَوْرِ حُسَيْنٍ . »

تَرَبَّعَ فارِسٌ على الأَرْضِ وَقالَ : « اِئْتوني بِعَلِيٍّ . »

وَلَمّا مَثَلَ عَلِيٌّ (كَريمٌ) أَمامَهُ ، قالَ لَهُ : « قُلْ ياعَلِيُّ : أُقْسِمُ بِاللهِ أَنْ أَقولَ الحَقَّ ، كُلَّ الحَقِّ ، وَلا شَيْءَ غَيْرَ الحَقِّ . » أَقْسَمَ كَريمٌ ثُمَّ عَرَضَ على القاضي حِكايَةَ عَلِيٍّ .

طَلَبَ فارِسٌ أَنْ يَأْتوهُ بِحُسَيْنٍ (زِيادٍ) . وَلَمّا حَضَرَ قالَ لَهُ : « قُلْ ياحُسَيْنُ : أُقْسِمُ بِاللهِ أَنْ أَقولَ الحَقَّ ، كُلَّ الحَقِّ ، وَلاشَيْءَ غَيْرَ الحَقِّ . » فَأَقْسَمَ ، وَحَكى قِصَّةَ حُسَيْنٍ .



نَظَرَ فارِسٌ إِلى عَلِيٍّ (كَريمٍ) وَسَأَلَهُ : « هَلْ أَحْضَرْتَ مَعَكَ قِدْرَ الزَّيْتونِ ؟ » وَلَمّا أَجابَهُ بِالنَّفْيِ أَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ وَيُحْضِرَها . وعادَ كَريمٌ يَمْشي كَما لَوْ كانَ يَحْمِلُ قِدْرًا كَبيرةً . سَأَلَ فارِسٌ حُسَيْنًا (زِيادًا) : « هَلْ هٰذِهِ القِدْرُ نَفْسُها ؟ »

أَجابَ (زِيادٌ) بِأَنَّها القِدْرُ نَفْسُها ، فَأَمَرَ فارِسٌ كَريمًا بِفَتْحِ القِدْرِ .

قامَ كَريمٌ وَحَرَّكَ في الهَواءِ يَدَيْهِ كَما لَوْ كانَ يَقومُ بِفَتْحِ القِدْرِ ، ثُمَّ أَدْخَلَ القاضي رَأْسَهُ في القِدْرِ ، كَما لَوْ كانَ يَتَفَحَّصُ ما فيها وَقالَ : « ما أَجْمَلَ هٰذا الزَّيْتونَ . »

وَبَعْدَ أَنْ وَضَعَ إِصْبَعَيْهِ في فَمِهِ كَأَنَّهُ يَتَذَوَّقُ حَبَّةَ الزَّيْتونِ ، أَضافَ قائِلًا : « ياإِلٰهي ما أَلَذَّ هٰذا الزَّيْتونَ ، وَما أَحْسَنَ طَعْمَهُ . لٰكِنَّني لا أَظُنُّ أَنَّ حَبَّةَ الزَّيْتونِ — بَعْدَ سَبْعِ سَنَواتٍ — تَكونُ في مِثْلِ هٰذا الطَّعْمِ . اِئْتوني بِاثْنَيْنِ مِنْ باعَةِ الزَّيْتونِ . » فَمَثَلَ أَمامَهُ جَميلٌ وَسَميرٌ ، فَسَأَلَهُما : « إِنَّكُما مِنْ باعَةِ الزَّيْتونِ . قولا لي ما المُدَّةُ الَّتي يُمْكِنُ لِلزَّيْتونِ أَنْ يَحْتَفِظَ خِلالَها بِمَذاقِهِ وَصَلاحِيَّتِهِ لِلأَكْلِ ؟ »

أَجابَ جَميلٌ قائِلًا : « لَنْ تَزيدَ عَلى ثَلاثِ سَنَواتٍ . » أَمّا سَميرٌ فَقَدْ قالَ : « حَتّى بَعْدَ سَنَتَيْنِ يَتَغَيَّرُ اللَّوْنُ وَالطَّعْمُ . »

طَلَبَ مِنْهُما القاضي أَنْ يَنْظُرا إِلى الزَّيْتونِ ، وَيُخْبِراهُ عَنِ المُدَّةِ الَّتي مَضَتْ عَلى وُجودِهِ في القِدْرِ . وَفَحَصَ البائِعانِ حَبّاتِ الزَّيْتونِ وَقالا : « يافَضيلَةَ القاضي إِنَّ حَبّاتِ الزَّيْتونِ هٰذِهِ طازَجَةٌ ، وَمِنْ مَحْصولِ هٰذا العامِ . »

ما إنْ سَمِعَ ٱلقاضي شَهادةَ ٱلبائِعَيْنِ حَتَّى صاحَ : « خُذوا (حُسَيْنًا) مِنْ مَجْلِسي ، وَلْيُعِدِ ٱلدَّنانيرَ إلى عَلي كوجيا ، وَاجْلِدوهُ فَهُوَ لِصٌّ . »

دَهِشَ ٱلخَليفةُ لِما رآهُ وَسَمِعَهُ وَقالَ : « إنَّ هٰؤلاءِ ٱلصِّبْيَةَ حُكَماءُ ، ائتوني غَدًا بِاثْنَيْنِ مِنْ باعةِ ٱلزَّيْتونِ . وَلْيَحْضُرْ كُلٌّ مِنْ حُسَيْنٍ وَعَليٍّ ، عَلى أَنْ يَأْتيَ عَليٌّ وَمَعَهُ قِدْرُ ٱلزَّيْتونِ . »

في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتّالي جيءَ بفارِسٍ إلى ٱلخليفةِ ٱلَّذي قالَ لَهُ : « لَقَدْ سَمِعْتُكَ ٱللَّيْلَةَ ٱلماضيةَ ، وَسَتَرى ٱليَوْمَ كُلًّا مِنْ عَليٍّ وَحُسَيْنٍ نَفْسَيْهِما . اِجْلِسْ بِجانِبي . سَيَمْثُلُ ٱلجَميعُ ٱلآنَ أمامي . » ثم قالَ لِلْقاضي : « سَوْفَ يَسْتَمِعُ هٰذا ٱلغُلامُ إلى قِصَّتَيْهِما ، وَسَوْفَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُ كَيفَ تُميِّزُ ٱلصّادِقَ مِنَ ٱلكاذِبِ وَٱلطَّيِّبَ مِنَ ٱلخَبيثِ . » ثُمَّ أَمَرَ لِفارِسٍ بِمِئَةِ دينارٍ ذَهَبيٍّ .

اِنْتَهَتْ شَهْرَزاد من حِكايَتِها ٱلَّتي أُعْجِبَ بِها ٱلسُّلْطانُ إعْجابًا شَديدًا وَقالَ لَها : « إنَّها قِصَّةٌ رائِعةٌ . »

قالَتْ شَهْرَزاد : « أَعْرِفُ قِصَّةً أُخْرَى ، يامَوْلاي ، عَنْ مَلِكةٍ أُخِذَ مِنْها أَطْفالُها ، وَعَنِ ٱلمِياهِ ٱلذَّهَبيَّةِ وَٱلشَّجَرةِ ٱلمُغَرِّدةِ وَٱلطَّيْرِ ٱلنّاطِقِ . وَقَدْ لا يَعْرِفُ ٱلعُلَماءُ وَٱلأُدَباءُ في ديوانِكَ هٰذِهِ ٱلقِصَّةَ ، وَأَنا لا وَقْتَ لَدَيَّ لِأَقُصَّها عَلَيْكَ ، وَلَكَ أَنْ تَتَصَوَّرَ جَمالَها . »

قالَ شَهْرِيارُ ، وَقَدِ اسْتَبَدَّ بِهِ ٱلشَّوْقُ لِسَماعِ ٱلقِصَّةِ : « عَلَيْكِ ياشَهْرَزاد أَنْ تُسْمِعيني ٱلقِصَّةَ غَدًا قَبْلَ شُروقِ ٱلشَّمْسِ . »

ٱلفَصْلُ ٱلسّابِعُ

ٱلطّائِرُ ٱلنّاطِقُ وَٱلشَّجَرةُ ٱلمُغَرِّدةُ وَٱلماءُ ٱلذَّهَبي

يُحْكَى أَنَّ أَحَدَ ٱلأُمَراءِ ، سَمِعَ أَنَّ ٱلخَليفةَ هارونَ ٱلرَّشيد خَرَجَ ذاتَ لَيْلةٍ مُتَنَكِّرًا في ثِيابِ فَقيرٍ ، وَأَخَذَ يَتَمَشَّى في شَوارِعِ بَغْدادَ لِيَسْتَطْلِعَ أَحْوالَ شَعْبِهِ . وَقَدْ أُعْجِبَ ٱلأَميرُ بما فَعَلَهُ ٱلخَليفةُ ، وَعَزَمَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ عِنْدَما يَتَوَلّى عَرْشَ بِلادِهِ . وَلَمّا ماتَ والِدُهُ ، خَلَفَهُ في ٱلحُكْمِ . وَذاتَ يَوْمٍ ، اِرْتَدى مَلابِسَ فَقيرٍ ، وَخَرَجَ مَعَ وَزيرِهِ لِيَسْمَعَ ما يَقولُهُ شَعْبُهُ عَنْهُ .

بَعْدَ سَيْرٍ طَويلٍ جَلَسَ في ظِلِّ شَجَرةٍ يَسْتَريحُ . وَفي ظِلِّ شَجَرةٍ مُجاوِرةٍ كانَتْ تَجْلِسُ ثَلاثُ أَخَواتٍ يَتَحَدَّثْنَ فيما بَيْنَهُنَّ عَنْ صِفاتِ زَوْجِ ٱلمُسْتَقْبَلِ .

قالَتْ كُبْراهُنَّ : « أَتَمَنّى ٱلزَّواجَ بِخَبّازِ ٱلمَلِكِ ، لِأَنّي أُحِبُّ ٱلخُبْزَ ٱلشَّهِيَّ . »

وَقالَتْ وُسْطاهُنَّ : « أَمّا أَنا أَتَمَنّى ٱلزَّواجَ بِطاهي ٱلمَلِكِ لِأَنّي أُحِبُّ ٱلطَّعامَ ٱلدَّسِمَ ٱلشَّهِيَّ . »

وَكانَتْ صُغْراهُنَّ بارِعةَ ٱلجَمالِ لَمْ تَقَعْ عَيْنُ ٱلمَلِكِ عَلى مِثْلِ جَمالِها ، وَكانَ صَوْتُها عَذْبًا لَمْ يَسْمَعِ ٱلمَلِكُ بِمِثْلِ حَلاوَتِهِ . تَكَلَّمَتْ وَقالَتْ لِأُخْتَيْها : « لَقَدْ شاهَدْتُ ٱلمَلِكَ فَهُوَ وَسيمٌ جِدًّا . وَأَرى فيهِ رَجُلَ ٱلمُسْتَقْبَلِ ٱلمَنْشودَ ، وَلِذا فَإِنّي أَتَمَنّى ٱلزَّواجَ بِهِ . »

اِلْتَفَتَ ٱلمَلِكُ إلى وَزيرِهِ ، وَقالَ لَهُ : « جِئْني غَدًا بِهٰؤلاءِ ٱلفَتَياتِ . »

في اليوم التالي جيء بهن إلى ديوان الملك ، ومثلن أمامه . وسألهن الملك : « هل تذكرن رغباتكن في حديثكن ليلة البارحة ؟ لقد كنت جالسًا بجواركن ، وسمعت ما دار بينكن من حديث . وإني لمحقق لكن رغباتكن جميعها . ستتزوج الأخت الكبرى خباز القصر ، وأما الوسطى فسيكون طاهي القصر زوجها . » ثم التفت إلى صغراهن ، وقال لها : « هل تقبلين الزواج بي ؟ »

وهكذا تحققت أمنياتهن ، فتزوجت الكبرى الخباز ، والوسطى الطاهي . أما فاطمة ، وهي صغرى أخواتها ، فقد أصبحت الملكة المتوجة .

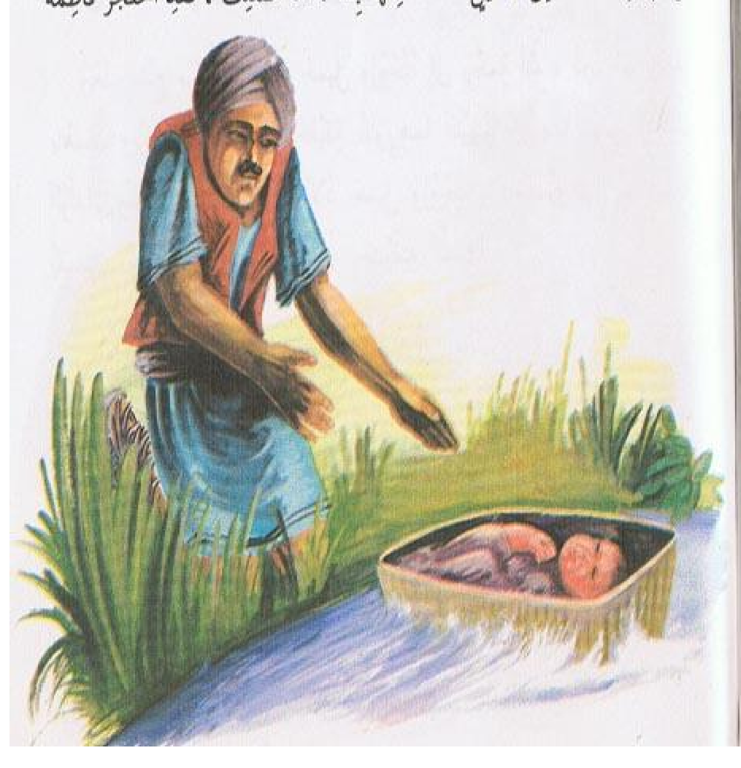
نهش الحسد قلبي الأختين ، وقالتا فيما بينهما : « لم تزوج الملك أختنا فاطمة ؟ إننا أجمل منها وأكبر سنًا ، وأرجح عقلًا . » وأخذتا تفكران في مكيدة تلحق الضرر بشقيقتهما ، وتحمل الملك على طلاقها .

وسمعتا بعد عام أن الملكة تنتظر مولودًا . فما كان منهما إلا أن قابلتا الملك وسألتاه أن يأذن لهما بالبقاء مع أختهما الملكة عندما تضع مولودها ، فلم يمانع . وأقامت الأختان بجوار فاطمة إلى أن وضعت طفلًا جميل المحيا . فأخذتاه ووضعتاه في صندوق وألقتا به في النهر ، ثم جاءتا بجرو وقالتا للملك : « هذا ما وضعته أختنا فاطمة . » فانزعج الملك واستاء كثيرًا وغضب غضبًا شديدًا .

حمل النهر الصندوق ، وقذف به إلى الشاطئ القريب من حديقة

الملك . ووجد أحد عمال الحديقة الصندوق فحمله إلى جميل رئيس العمال . استبشر جميل بالطفل وحمله إلى زوجته . وكان الزوجان الطيبان محرومين من الأولاد فسعدا بالطفل واتخذاه ابنًا .

تكرر الشيء نفسه في العام التالي ، حينما وضعت الملكة ابنها الثاني . فقد وضعته الأختان في صندوق ، وألقتا به في المكان نفسه من الشاطئ . ووجد أحد العمال الطفل فحمله إلى جميل الذي اتخذ منه ابنًا ثانيًا . اشتعل الملك غضبًا ، لأن زوجته لم تلد له ولدًا وقال : « إذا وضعت فاطمة جروًا للمرة الثالثة فسأطلقها . » ولم يمض عام آخر ، حتى وضعت الملكة طفلة ، وهذه المرة أيضًا وضعت الأختان الطفلة في صندوق وألقتا به في النهر . وقذف النهر الصندوق إلى المكان نفسه ، وحملت الطفلة إلى جميل فاتخذ منها بنتًا . أما الملك ، فقد احتجز فاطمة



في غُرْفَةٍ تُطِلُّ عَلى ٱلشَّارِعِ ، لِيَرى ٱلغادي وَٱلرَّائِحَ ٱلـمَلِكَةَ ٱلَّتي لَـمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُنْجِبَ لِلْـمَلِكِ طِفْلاً .

شَبَّ ٱلطِّفْلانِ في بَيْتِ جَميلٍ وَتَرَعْرَعا ، وَقَوِيَ جِسْماهُما ، وَٱزْدادا وَسامةً ، وَكانا يَبْدُوانِ لِلنَّاظِرِ وَكَأَنَّهُما أَميرانِ يافِعانِ . سُمِّيَ أَحَدُهُما باهْمان وَٱلآخَرُ بِرْفيز ، عَلى أَسْماءِ مُلوكِ فارِسَ ٱلقُدَماءِ . أَمَّا ٱلبِنْتُ فَقَدْ سُمِّيَتْ باريزاد .

اِشْتَرى جَميلٌ بَيْتًا في ٱلرِّيفِ ، وَأَنْشَأَ حَوْلَهُ حَديقَةً جَميلَةً ، ثُـمَّ ذَهَبَ إِلى ٱلـمَلِكِ وَقالَ لَهُ : « مَوْلاي ! لَقَدْ تَقَدَّمَتْ بِيَ ٱلسِّنُّ ، وَلَـمْ أَعُدْ أَقْوى عَلى ٱلعَمَلِ ، وَإِنِّي أَتَقَدَّمُ إِلى مَوْلايَ لَعَلَّهُ يُجيبُ رَجائي بِإِعْفائي مِنَ ٱلخِدْمَةِ ، لِأَقْضِيَ بَقِيَّةَ ٱلعُمْرِ في بَيْتي مَعَ زَوْجَتي وَأَوْلادي. »

وَبَعْدَ بِضْعِ سَنَواتٍ ٱنْتَقَلَ جَميلٌ وَزَوْجَتُهُ إِلى رَحْمَةِ ٱللهِ ، دُونَ أَنْ يُطْلِعا باهْمان وبِرْفيز وباريزاد عَلى حَقيقَةِ عُثورِهِما عَلَيْهِمْ وَتَبَنِّيهِما لَهُمْ . فَكانَ ٱلوَلَدانِ وَٱلبِنْتُ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ أَوْلادُ جَميلٍ وَزَوْجَتِهِ ، فَٱسْتَمَرُّوا في حَياتِهِمْ ، يُقيمونَ في بَيْتِهِمُ ٱلجَميلِ وَيَنْعَمونَ بِحَديقَتِهِ ٱللَّطيفَةِ .

وَذاتَ يَوْمٍ طَرَقَتْ بابَهُمُ ٱمْرَأَةٌ عَجوزٌ وَقالَتْ : « لَقَدْ حانَ وَقْتُ ٱلصَّلاةِ . فَهَلْ لي بِٱلدُّخولِ لِأَداءِ صَلاتي ؟ » وَما إِنْ أَنْهَتْ صَلاتَها حَتَّى قالَتْ لَها باريزاد : « أَرْجُوكِ أَنْ تَتَناوَلي ٱلطَّعامَ مَعَنا ، وَبَعْدَ ذٰلِكَ أُريكِ بَيْتَنا ٱللَّطيفَ وَحَديقَتَنا ٱلبَديعَةَ . »

وَبَعْدَ ٱلانْتِهاءِ مِنَ ٱلطَّعامِ أَخَذَتْ باريزاد وَٱلـمَرْأَةُ تَطوفانِ في غُرَفِ ٱلبَيْتِ

وَٱلحَديقَةِ . وَقالَتْ لَها باريزاد : « أَلا تَرَيْنَ أَنَّ بَيْتَنا أَجْمَلُ بَيْتٍ فِي ٱلـمَدينَةِ ، وَأَنَّ حَديقَتَنا أَجْمَلُ ما في ٱلكَوْنِ ؟ »

أَكَّدَتِ ٱلعَجوزُ ذٰلِكَ وَقالَتْ : « إِنَّ ما تَقولينَهُ حَقٌّ ، وَلٰكِنْ تَنْقُصُهُ ثَلاثَةُ أَشْياءَ حَتّى يَكْتَمِلَ جَمالُهُ . »

سَأَلَتْها باريزاد : « وَما هٰذِهِ ٱلأَشْياءُ ؟ أَرْجو أَنْ تُخْبِريني حَتَّى أَسْعَى لِلْحُصُولِ عَلَيْها . »

قالَتْ لَها ٱلعَجوزُ : « أَوَّلُ هٰذِهِ ٱلأَشْياءِ ٱلطَّائِرُ ٱلنَّاطِقُ ٱلَّذي يُتْقِنُ ٱلكَلامَ ، وَيَتَّصِفُ بِرَجاحَةِ ٱلعَقْلِ وَكَأَنَّهُ إِنْسانٌ . أَمَّا ثانيها فَهِيَ ٱلشَّجَرَةُ ٱلـمُغَرِّدَةُ ، وَثالِثُها ٱلـماءُ ٱلذَّهَبِيُّ ٱلَّذي لَوْ صُبَّ في نافورةٍ ، لَـما جَفَّ ماؤُها ، أَوْ طَغَى عَلى جَوانِبِها . »



سَأَلَتْها باريزاد : « ولٰكِنْ ، أيْنَ أجِدُ هٰذِهِ الأشْياءَ ؟ »

أجابَتْها العَجوزُ : « عَلَيْكِ أنْ تَسيري في الطَّريقِ المارَّةِ بِبَيْتِكُمْ لِمُدَّةِ عِشْرينَ يَوْمًا ، ثُمَّ سَلي أوَّلَ شَخْصٍ تُقابِلينَهُ عَنْ مَكانِ الطَّائِرِ النَّاطِقِ ، والشَّجَرةِ المُغَرِّدةِ ، والماءِ الذَّهَبيِّ . »

عِنْدَما عادَ باهْمان في المَساءِ سَأَلَ أُخْتَهُ : « ماذا بِكِ ياأُخْتاهُ ؟ لِمَ أنْتِ حَزينةٌ ؟ »

أطْلَعَتْ باريزاد أخاها باهْمان عَلى حَديثِ العَجوزِ ، فَأبْدى اسْتِعْدادَهُ لِلْقِيامِ بالرِّحْلةِ ، فَمانَعَتْ أُخْتُهُ في ذٰلِكَ خَشْيَةَ أنْ يَتَعَرَّضَ لِلْخَطَرِ . لٰكِنَّ باهْمان أصَرَّ عَلى القِيامِ بالرِّحْلةِ . وعِنْدَ رَحيلِهِ أعْطى أُخْتَهُ زُجاجةً وقالَ لَها : « إنْ كانَتْ هٰذِهِ الزُّجاجةُ لامِعةً صافيةً دَلَّتْ عَلى وُصولي بالسَّلامةِ . أمَّا إذا تَعَكَّرَ لَوْنُها ، فإنَّها تَدُلُّ عَلى أنَّني في خَطَرٍ . »

انْطَلَقَ باهْمان في رِحْلَتِهِ ، وفي اليَوْمِ العِشْرينَ قابَلَ رَجُلًا عَجوزًا ، يَجْلِسُ عَلى جانِبِ الطَّريقِ ، فَسَأَلَهُ : « أيُّها الشَّيْخُ ، لَقَدْ قَدِمْتُ مِنْ بِلادٍ بَعيدةٍ ، بَحْثًا عَنِ الطَّائِرِ النَّاطِقِ ، والشَّجَرةِ المُغَرِّدةِ والماءِ الذَّهَبيِّ . هَلْ لَكَ أنْ تُرْشِدَني إلى الطَّريقِ الَّتي يَجِبُ أنْ أسْلُكَها ؟ »

قالَ العَجوزُ : « سَأُرْشِدُكَ ، يابُنَيَّ ، ولٰكِنَّ رِحْلَتَكَ مَحْفوفةٌ بالأخْطارِ . هَلْ تَرى ذٰلِكَ الجَبَلَ العالِيَ الَّذي لا هِضابَ حَوْلَهُ ؟ سِرْ إلَيْهِ حَتَّى تَصِلَ إلى سَفْحِهِ . سَتَرى هُناكَ كَثيرًا مِنَ الحِجارةِ السَّوْداءِ ، وتَسْمَعُ أصْواتًا تَكيلُ لَكَ الكَثيرَ مِنَ الشَّتائِمِ ، وتَدْعوكَ إلى العَوْدةِ مِنْ حَيْثُ أتَيْتَ . وماتِلْكَ الحِجارةُ

السَّوْداءُ إلَّا رِجالٌ يَبْحَثونَ عَنِ الطَّائِرِ النَّاطِقِ ، والشَّجَرةِ المُغَرِّدةِ والماءِ الذَّهَبيِّ ، وتَحَوَّلوا إلى حِجارةٍ سَوْداءَ ، لِأنَّهُمُ الْتَفَتوا إلى الوراءِ لِيَتَحَقَّقوا مِنْ أصْحابِ الأصْواتِ الَّتي تَشْتُمُهُمْ . وأنْصَحُكَ ألَّا تَلْتَفِتَ إلى الوراءِ عِنْدَما تَصِلُ إلى سَفْحِ الجَبَلِ ، وأنْ تُواصِلَ الصُّعودَ إلى القِمَّةِ . وهُناكَ سَتَرى الطَّائِرَ النَّاطِقَ ، وهُوَ الَّذي سَيَدُلُّكَ عَلى مَكانِ الشَّجَرةِ المُغَرِّدةِ والماءِ الذَّهَبيِّ . »

عَمِلَ باهْمان بِما نَصَحَهُ بِهِ العَجوزُ ، وسارَ إلى أنْ وَصَلَ إلى سَفْحِ الجَبَلِ ، ورَأى الحِجارةَ السَّوْداءَ وسَمِعَ الشَّتائِمَ تَنْهالُ عَلَيْهِ ، ولٰكِنَّهُ لَمْ يَحْفَلْ بِذٰلِكَ ، بَلْ أخَذَ في صُعودِ الجَبَلِ . وكانَتِ الشَّمْسُ شَديدةَ الحَرارةِ ، والطَّريقُ وَعِرةَ المَسالِكِ يَصْعُبُ السَّيْرُ فيها . وقَدْ عَثَرَ بِحَجَرٍ فَزَلَّتْ قَدَمُهُ . ولَمَّا نَهَضَ مِنْ عَثْرَتِهِ الْتَفَتَ إلى الوراءِ . وفي تِلْكَ اللَّحْظةِ نَظَرَتْ باريزاد فَرَأَتِ الزُّجاجةَ قَدْ تَعَكَّرَ لَوْنُها ، فَعَرَفَتْ أنَّ أخاها في خَطَرٍ .

ولَمَّا عَلِمَ بِرْفيز أنَّ أخاهُ في خَطَرٍ ، قَرَّرَ الإسْراعَ إلى نَجْدَتِهِ ، وقَبْلَ أنْ يَنْطَلِقَ في مَسيرَتِهِ ، قالَ لِأُخْتِهِ : « إنْ كُنْتُ في خَطَرٍ ، اسْوَدَّ لَوْنُ الزُّجاجةِ كالفَحْمِ ، ولٰكِنْ إذا صَفا لَوْنُها ، فاعْلَمي أنِّي وَجَدْتُ أخي ، وأنَّني في سَبيلِ العَوْدةِ بِهِ إلَيْكِ . »

انْطَلَقَ بِرْفيز سالِكًا الطَّريقَ نَفْسَها الَّتي سَلَكَها أخوهُ ، والْتَقى الرَّجُلَ العَجوزَ فَسَأَلَهُ عَنْ أخيهِ قائِلًا : « أيُّها الشَّيْخُ هَلْ مَرَّ بِكَ أخي ؟ وهَلْ سَأَلَكَ عَنِ الطَّائِرِ النَّاطِقِ ، والشَّجَرةِ المُغَرِّدةِ ، والماءِ الذَّهَبيِّ ؟ »

أجابَهُ العَجوزُ : « إنَّ شابًّا صَغيرًا شَديدَ الشَّبَهِ بِكَ مَرَّ بي ، وأرْشَدْتُهُ إلى

الطَّرِيقِ الَّتي يَجِبُ أَنْ يَسْلُكَها . كَما أَنِّي نَصَحْتُهُ بِأَلَّا يَلْتَفِتَ إِلى الوَراءِ عِنْدَ صُعودِهِ الجَبَلَ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ بِنَصيحَتي ، فَتَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ أَسْوَدَ . »

تَرَكَ بِرْفيز الرَّجُلَ العَجوزَ وَسارَ في الطَّريقِ نَفْسِها الَّتي سارَ فيها باهمان حَتّى بَلَغَ الجَبَلَ ، وَأَخَذَ في تَسَلُّقِهِ . وَسَمِعَ صَوْتًا يَدْعوهُ إِلى العَوْدَةِ ، فَقالَ : « قَدْ يَكونُ هٰذا صَوْتَ أَخي . » وَعِنْدَما الْتَفَتَ إِلى الوَراءِ لِيَتَحَقَّقَ مِنْ صاحِبِ الصَّوْتِ تَحَوَّلَ إِلى حَجَرٍ أَسْوَدَ .

ما إِنْ رَأَتْ باريزاد لَوْنَ الزُّجاجَةِ قَدِ اسْوَدَّ كَالفَحْمِ ، حَتّى عَزَمَتْ عَلى إِنْقاذِ أَخَوَيْها . وَسارَتْ في طَريقِها إِلى أَنْ قابَلَتِ الرَّجُلَ العَجوزَ الَّذي أَنْبَأَها بِما حَدَثَ لِأَخَوَيْها ، وَحَذَّرَها مِنَ الالتِفاتِ إِلى الخَلْفِ إِذا سَمِعَتْ أَصْواتَ الشَّتائِمِ ، وَإِلَّا أَصابَها ما أَصابَ أَخَوَيْها ؛ فَهَداها تَفْكيرُها لِأَنْ تَضَعَ قِطَعًا مِنَ القُماشِ في أُذُنَيْها حَتّى لا تَسْمَعَ الأَصْواتَ . وَعِنْدَما بَلَغَتْ قاعِدَةَ الجَبَلِ ، أَخَذَتْ في تَسَلُّقِهِ ، وَبَدَأَتْ أَصْواتُ الشَّتائِمِ تَنْهالُ عَلَيْها مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، وَتَدْعوها إِلى العَوْدَةِ ، وَلٰكِنَّها لَمْ تَكُنْ تَسْمَعُ شَيْئًا بِسَبَبِ القُماشِ الَّذي وَضَعَتْهُ في أُذُنَيْها . وَاسْتَمَرَّتْ في تَسَلُّقِها حَتّى بَلَغَتِ القِمَّةَ وَهُناكَ وَجَدَتِ الطّائِرَ النّاطِقَ .

أَخْرَجَتْ باريزاد القُماشَ مِنْ أُذُنَيْها ، ثُمَّ قالَتْ لِلطّائِرِ : « قُلْ لي ، أَيُّها الطّائِرُ ، أَيْنَ أَجِدُ الشَّجَرَةَ المُغَرِّدَةَ ، وَالماءَ الذَّهَبِيَّ ؟ »

أَجابَها : « ها هُما قَريبانِ مِنْكِ . أَلا تَسْمَعينَ الشَّجَرَةَ تَشْدو بِأَعْذَبِ الأَلْحانِ ؟ خُذي غُصْنًا مِنْها وَازْرَعيهِ في حَديقَتِكِ ، فَيُصْبِحَ شَجَرَةً غَنّاءَ .



وَخُذي مِنَ الماءِ الذَّهَبِيِّ وَضَعيهِ في زُجاجَةٍ فَيُصْبِحَ نافورَةً في الحَديقَةِ . »

سَأَلَتْهُ : « كَيْفَ أَسْتَطيعُ إِنْقاذَ أَخَوَيَّ ؟ »

أَجابَ الطّائِرُ : « سَتَجِدينَ جَرَّةَ ماءٍ بِالقُرْبِ مِنَ الشَّجَرَةِ ، فَخُذيها وَاسْكُبي قَليلًا مِنْ مائِها عَلى الحَجَرَيْنِ الأَسْوَدَيْنِ فَيَعودا كَما كانا . »

هَبَطَتْ باريزاد ٱلجَبَلَ وَمَعَها ٱلطّائِرُ ٱلنّاطِقُ وَغُصْنُ ٱلشَّجَرةِ ٱلـمُغَرِّدةِ وَٱلـماءُ ٱلذَّهَبيُّ وجَرَّةُ ٱلـماءِ . وَعِنْدَ أَسْفَلِ ٱلجَبَلِ سَكَبَتْ قليلًا مِنْ ماءِ ٱلجَرَّةِ عَلى ٱلحَجَرَيْنِ ٱلأَسْوَدَيْنِ فعادَ أَخواها إلى هَيْئَتِهِما ٱلطَّبيعيَّةِ . وَكَمْ كانَتْ فَرْحةُ ٱلإِخْوةِ عَظيمةً عِنْدَما عادوا مَعًا إلى بَيْتِهِمْ بِٱلصِّحَّةِ وَٱلسَّلامةِ . وَفي ٱلبَيْتِ غَرَسوا ٱلشَّجَرةَ ، وَعَمِلوا نافورةً بِٱلماءِ ٱلذَّهَبيِّ . أَمّا ٱلطّائِرُ ٱلنّاطِقُ فَقَدْ وَضَعوهُ في قَفَصٍ ذَهَبيٍّ .

سَمِعَ ٱلنّاسُ بِهٰذِهِ ٱلغَرائِبِ ، فَأَخَذوا يَتَوافَدونَ مِنْ أَقْصى ٱلبِلادِ وَأَدْناها لِمُشاهَدَتِها . وَقَدْ سَمِعَ ٱلـمَلِكُ بِها ، فَقَدِمَ لِيَراها بِعَيْنَيْهِ . وَفي ٱلبَيْتِ رَأى ٱلنّافورةَ ٱلذَّهَبيَّةَ ، وَٱلشَّجَرةَ ٱلـمُغَرِّدةَ تُطْرِبُ ٱلسّامِعينَ بِأَجْمَلِ ٱلأَلْحانِ وَأَعْذَبِها . وَنَظَرَ ٱلـمَلِكُ إلى وَزيرِهِ ، وَأَخْبَرَهُ بِرَغْبَتِهِ في لِقاءِ أَصْحابِ ٱلبَيْتِ ، فَخَرَجَ باهمان وَبرفيز لِلِقاءِ ٱلـمَلِكِ .

عِنْدَما رآهُما ٱلـمَلِكُ قالَ : « ياربِّي ، لِمَ لَمْ تَلِدْ لي ٱلـمَلِكةُ وَلَدَيْنِ كَهٰذَيْنِ ٱلشّابَّيْنِ ٱلوَسيمَيْنِ ؟ لِمَ لَمْ أُرْزَقْ بِأَوْلادٍ ؟ »

تَقَدَّمَ باهمان وبرفيزُ مِنَ ٱلـمَلِكِ وَسَلَّما عَلَيْهِ وَدَعَواهُ وَٱلوَزيرَ إلى ٱلبَيْتِ .

عِنْدَما رأى ٱلـمَلِكُ باريزاد ، قالَ لِنَفْسِهِ : إنَّ وَجْهَها شَديدُ ٱلشَّبَهِ بِوَجْهِ ٱلـمَلِكةِ . ياإلٰهي ، لا ٱعْتِراضَ عَلى حُكْمِكَ ، لِمَ لَمْ تَرْزُقْني بِبِنْتٍ جَميلةٍ كَهٰذِهِ ؟

رافَقَتْ باريزاد ٱلـمَلِكَ وَٱلوَزيرَ إلى مَكانِ ٱلطّائِرِ ٱلنّاطِقِ ، وَقالَتْ لَهُ : « أَيُّها ٱلطّائِرُ إنَّ ضَيْفَنا هوَ ٱلـمَلِكُ . أَرْجو أَنْ تُحَدِّثَهُ . »

نَطَقَ ٱلطّائِرُ وَقالَ : « ياصاحِبَ ٱلجَلالةِ أَتَمَنّى أَنْ يَمُدَّ ٱللهُ في عُمْرِكَ وَيَهَبَ لَكَ ٱلسَّعادةَ . هَلْ مِنْ سُؤالٍ تَرْغَبُ في تَوجيهِهِ إليَّ ؟ » فَقالَ ٱلـمَلِكُ : « نَعَمْ أَيُّها ٱلطّائِرُ ، قُلْ لي : لِمَ لَمْ أُرْزَقْ بِوَلَدَيْنِ وَسيمَيْنِ كَهٰذَيْنِ وَبِنْتٍ حُلْوةٍ مِثْلِ باريزاد ؟ »

صاحَ ٱلطّائِرُ : « أَيُّها ٱلـمَلِكُ ، إنَّ هٰذَيْنِ ٱلشّابَّيْنِ وَلَداكَ ، كَما إنَّ باريزاد هيَ ٱبْنَتُكَ . » ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِ ما فَعَلَتْهُ أُخْتا ٱلـمَلِكةِ بِأَطْفالِها . وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَسْأَلَهُما وَيَحْمِلَهُما عَلى قَوْلِ ٱلصِّدْقِ ، كَما رَجاهُ أَنْ يُطْلِقَ سَراحَ ٱلـمَلِكةِ لِتَرى أَبْناءَها ، وَتَعودَ مَلِكةً عَلى ٱلبِلادِ .

عَمَّ ٱلفَرَحُ قَصْرَ ٱلـمَلِكِ ، وَٱلْتَأَمَ شَمْلُ ٱلأُسْرةِ وَعاشوا في هَناءةٍ وَسَعادةٍ .

* * *

ٱنْتَهَتْ شَهْرزادُ مِنْ حِكايَتِها ، ثُمَّ ٱلْتَفَتَتْ إلى ٱلسُّلْطانِ قائِلةً : « أَعْرِفُ قِصَّةَ ٱلإِخْوةِ ٱلثَّلاثةِ ٱلَّذينَ كانوا يَتَنافَسونَ عَلى ٱلزَّواجِ بِأَميرةٍ . هَلْ يَسْتَطيعُ ٱلسُّلْطانُ أَنْ يَقولَ أَيُّ ٱلثَّلاثةِ يَصْلُحُ لَها ، وَيَجْعَلُ حَياتَها سَعيدةً ؟ رُبَّما يَحْلو لَكَ ، أَيُّها ٱلسُّلْطانُ ، أَنْ تُفَكِّرَ في ٱلجَوابِ . »

وَلٰكِنَّ ٱلسُّلْطانَ ٱعْتَذَرَ وَأَعْرَبَ عَنْ عَدَمِ رَغْبَتِهِ في ٱلتَّفْكيرِ في ٱلجَوابِ ، بَلْ طَلَبَ مِنْها أَنْ تَقُصَّ عَلَيْهِ هٰذِهِ ٱلحِكايةَ قَبْلَ شُروقِ ٱلشَّمْسِ في ٱليَوْمِ ٱلتّالي .

الفصلُ الثامِنُ

الأميرةُ والإخوةُ الثلاثةُ

كانَ لِأحَدِ السَّلاطينِ ثَلاثةُ أَوْلادٍ ، هُمْ : حُسَيْنٌ وَعَلِيٌّ وَأَحْمَدُ . وَكانَتِ الأَميرةُ لَيْلى ــ ابْنةُ أخيهِ الأَصْغَرِ ــ طِفْلةً ، عِنْدَما ماتَ والِدُها ، فَكَفَلَها عَمُّها السُّلْطانُ ، وعاشَتْ مَعَ أَوْلادِ عَمِّها تَحْتَ سَقْفٍ واحِدٍ . وَكانَتْ رَغْبةُ السُّلْطانِ أَنْ يُزَوِّجَ الأَميرةَ لَيْلى بِابْنِ مَلِكٍ في بَلَدٍ لَيْسَ بَعيدٍ . وَلٰكِنَّهُ لاحظَ أَنَّ أَوْلادَهُ يُحِبُّونَها وَيَتَمَنّى كُلُّ واحِدٍ أَنْ تَكونَ لَيْلى زَوْجَتَهُ . وَكانَ السُّلْطانُ في خَلَواتِهِ يُسائِلُ نَفْسَهُ : رَبّاهُ ماذا عَسايَ أَنْ أَفْعَلَ ؟ بِمَنْ أُزَوِّجُها ؟ وَعَلى أَيِّ أَساسٍ أَخْتارُ أَحَدَهُمْ دونَ أَخَوَيْهِ ؟ هَلْ أَطْلُبُ مِنْ عَلِيٍّ وَأَحْمَدَ أَنْ يَتَخَلَّيا عَنْ فِكْرَةِ الزَّواجِ بِلَيْلى لِأَخيهِما الأَكْبَرِ ؟ لَسْتُ أَدْري ماذا أَفْعَلُ ؟ !

اِسْتَدْعى السُّلْطانُ الأَميرةَ لَيْلى ، وَسَأَلَها رَأْيَها فيمَنْ تَخْتارُ مِنْ بَيْنِ أَوْلادِ عَمِّها لِيَكونَ زَوْجًا لَها . فَأَجابَتْهُ بِقَوْلِها : « إِنَّ أَوْلادَ عَمّي سواسيةٌ لَدَيَّ ، وَأَنا أَعيشُ مَعَهُمْ تَحْتَ سَقْفٍ واحِدٍ ، وَأُحِبُّهُمْ جَميعًا دونَ تَمْييزٍ . لِمَ لا نَفْعَلُ شَيْئًا نَخْتَبِرُ بِهِ مَدى حُبِّ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ لي ؟ »

أُعْجِبَ السُّلْطانُ بِالفِكْرَةِ ، وَاسْتَدْعى أَوْلادَهُ وَقالَ لَهُمْ : « عَلى كُلٍّ مِنْكُمْ أَنْ يُسافِرَ لِمُدَّةِ عامٍ . وَكَما تَعْلَمونَ ، فَإِنّي أَهْوى كُلَّ شَيْءٍ طَريفٍ وَمُفيدٍ . وَمَنْ يَعُدْ مِنْكُمْ إِلَيَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمّا يَحْمِلُهُ أَخَواهُ ، فَسَتَكونُ لَيْلى زَوْجَتَهُ . وَسَأُعْطي الواحِدَ مِنْكُمْ خَمْسَمِئَةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ لِتَدْبيرِ أُمورِهِ ، وَشِراءِ أَفْضَلِ ما يَراهُ . »

جَهَّزَ الإِخْوةُ الثَّلاثةُ أَنْفُسَهُمْ لِلسَّفَرِ صَباحَ اليَوْمِ التّالي ، وَوَدَّعوا أَباهُمْ

وَابْنَةَ عَمِّهِمْ وَانْطَلَقوا مَعًا حَتّى وَصَلوا إِلى مُفْتَرَقِ ثَلاثِ طُرُقٍ . وَاتَّفَقوا فيما بَيْنَهُمْ أَنْ يَقْضوا لَيْلَتَهُمْ في ذٰلِكَ المَكانِ ، وَيَخْتارَ كُلُّ واحِدٍ طَريقَهُ في صَباحِ اليَوْمِ التّالي . وَاتَّفَقوا أَنْ يَكونَ مَوْعِدُ لِقائِهِمْ بَعْدَ عامٍ في المَكانِ نَفْسِهِ ، لِيَعودوا إِلى أَبيهِمْ بِما يَحْمِلُهُ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ .

بَعْدَ عِدَّةِ أَشْهُرٍ وَصَلَ أَكْبَرُهُمْ ــ حُسَيْنٌ ــ إِلى مَدينةِ بِسْناجار ، ذاتِ المَتاجِرِ الكَبيرةِ وَالشَّوارِعِ العَريضةِ المُنَسَّقةِ . وَكانَ في كُلِّ شارِعٍ مِنْ شَوارِعِ السّوقِ مَتاجِرُ مُتَخَصِّصةٌ : فَهٰذا شارِعٌ لِبَيْعِ المَوادِّ الغِذائيَّةِ ، وَذاكَ لِبَيْعِ الذَّهَبِ وَالجَواهِرِ ، وَثالِثٌ لِبَيْعِ الأَثاثِ ...

أَخَذَ حُسَيْنٌ يَجُولُ في الشَّوارِعِ ، فَرَأى بَضائِعَ نَفيسةً وَجَميلةً ، لَمْ يَرَ مِثْلَها مِنْ قَبْلُ ، وَمَعَ ذٰلِكَ اسْتَبَدَّ بِهِ القَلَقُ ، فَأَخَذَ يُخاطِبُ نَفْسَهُ : أَنا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ ما رَأَيْتُهُ في الأَسْواقِ سَيُعْجِبُ والِدي . وَلٰكِنّي لا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَجِدَ أَخَوايَ ــ عَلِيٌّ وَأَحْمَدُ ــ ما هُوَ أَفْضَلُ ، وَبِذا تَفوتُني فُرْصةُ الزَّواجِ بِابْنةِ عَمّي ، الأَميرةِ لَيْلى . يَجِبُ أَنْ أَسْتَمِرَّ في البَحْثِ عَنِ الأَفْضَلِ ، بَلْ عَنِ الَّذي لَمْ تَرَ عَيْنٌ مَثيلًا لَهُ مِنْ قَبْلُ .

ذاتَ يَوْمٍ ساقَتْهُ قَدَماهُ إِلى شارِعِ تُجّارِ السَّجاجيدِ . وَلٰكِنَّ السَّيْرَ الطَّويلَ كانَ قَدْ أَنْهَكَهُ ، فَجَلَسَ أَمامَ مَتْجَرٍ صَغيرٍ . وَما إِنْ رَآهُ صاحِبُ المَتْجَرِ ، حَتّى رَحَّبَ بِهِ وَقالَ لَهُ : « أَيُّها الضَّيْفُ ماذا تُحِبُّ أَنْ تَشْتَرِيَ ؟ في مَتْجَري أَنْواعٌ مِنَ السَّجاجيدِ الفاخِرةِ ، سَتَجِدُ مِنْ بَيْنِها ما يُعْجِبُكَ . »

سَأَلَهُ حُسَيْنٌ : « ياهٰذا ، هَلْ لَدَيْكَ سَجّادةٌ لا نَظيرَ لَها في العالَمِ ؟ » أَجابَهُ صاحِبُ المَتْجَرِ عَلى الفَوْرِ : « لَدَيَّ البِساطُ السِّحْرِيُّ ، وَهُوَ الوَحيدُ

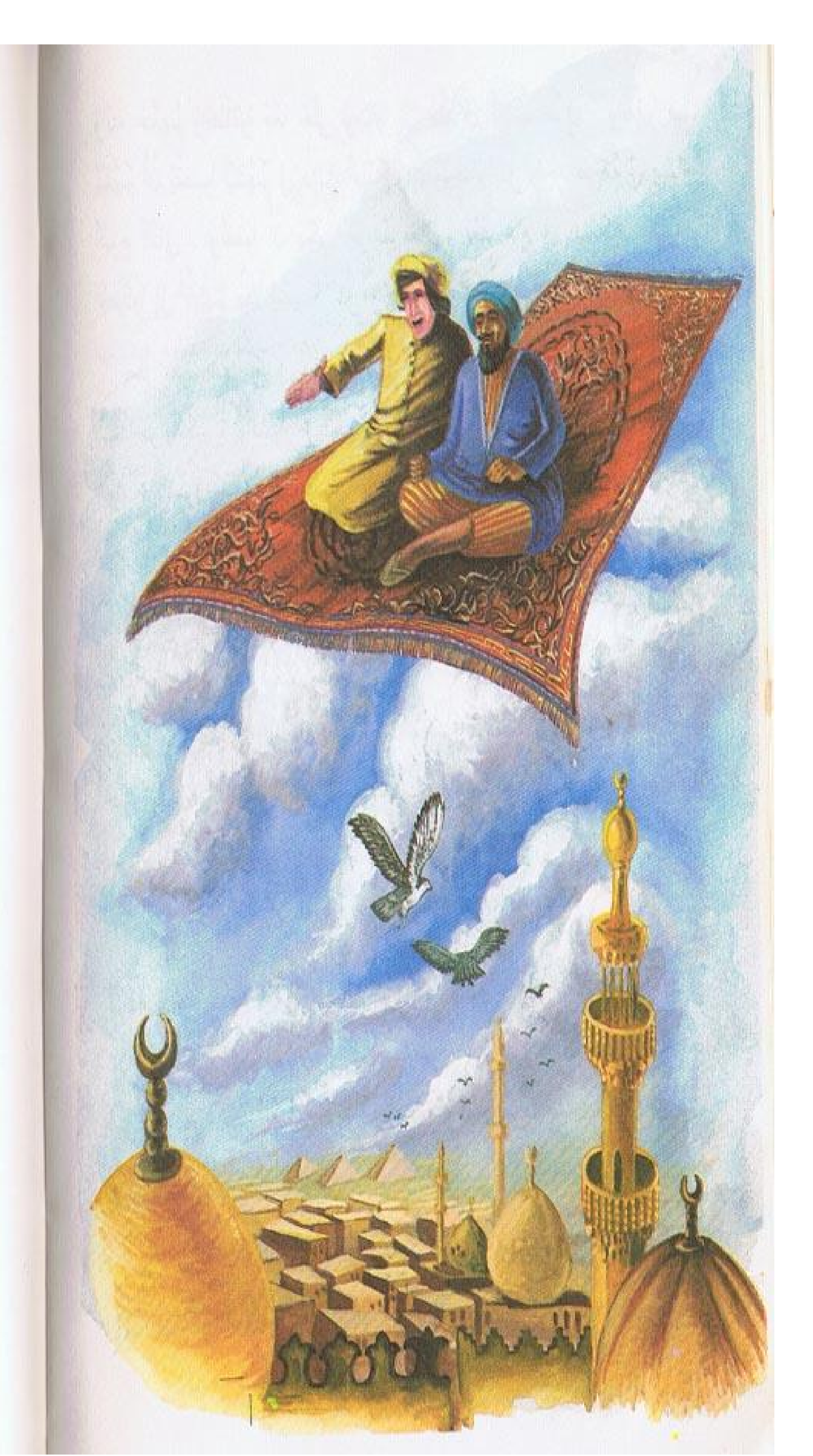
مِنْ نَوْعِهِ . إذا جَلَسْتَ فَوْقَهُ وَقُلْتَ لَهُ (أَيُّها ٱلْبِساطُ : طِرْ بي إلى بَغْدادَ ... إلى ٱلْقاهِرَةِ ... إلى أَيِّ مَكانٍ في العالَمِ) ، فَإِنَّ ٱلْبِساطَ سَيُلَبّي طَلَبَكَ ، في لَمْحِ ٱلْبَصَرِ ، وَيَشُقُّ ٱلْفَضاءَ ، وَيَحُطُّ بِكَ في ٱلْمَكانِ ٱلَّذي تُريدُهُ . »

اِنْشَرَحَ صَدْرُ حُسَيْنٍ ، وَطَلَبَ مِنَ ٱلتّاجِرِ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِتَجْرِبَةِ ٱلْبِساطِ ، فَلَمْ يُمانِعْ ، عَلى أَنْ يُرافِقَهُ في رِحْلَتِهِ لِيُعَلِّمَهُ قِيادَتَهُ . وَجاءَ ٱلتّاجِرُ بِبِساطٍ صَغيرٍ عَتيقٍ وَجَلَسَ ٱلاثْنانِ فَوْقَهُ ، وَتَوَلّى ٱلتّاجِرُ تَوْجيهَهُ قائِلًا : « أَيُّها ٱلْبِساطُ ، طِرْ بِنا إلى دِمَشْقَ . » وَما هِيَ إِلّا دَقائِقُ حَتّى شاهَدا مِنَ ٱلْجَوِّ مَدينَةً عامِرَةً ، أَسْواقُها مَسْقوفَةٌ ، وَٱلنَّهْرُ يَجْري وَسَطَها .

قالَ ٱلتّاجِرُ : « أَيُّها ٱلْبِساطُ ، تابِعْ طَيَرانَكَ إلى ٱلْقاهِرَةِ . » وَما هِيَ إِلّا دَقائِقُ حَتّى شاهَدا مِنْ عَلُ مَدينَةَ ٱلْقاهِرَةِ بِشَوارِعِها وَمَعالِمِها ٱلْحَضارِيَّةِ وَأَهْرامِها ٱلنّاطِقَةِ بِعَظَمَةِ تاريخِها .

قالَ ٱلتّاجِرُ : « أَيُّها ٱلْبِساطُ ، عُدْ بِنا ٱلآنَ إلى بِسْناجار . » وَبَعْدَ بِضْعِ دَقائِقَ نَزَلَ بِهِما ٱلْبِساطُ أَمامَ ٱلْمَتْجَرِ . وَفي ٱلْحالِ دَفَعَ حُسَيْنٌ خَمْسَمِئَةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ ثَمَنًا لِلْبِساطِ ٱلسِّحْرِيِّ ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ فَرَحٌ شَديدٌ أَنَّ فُرْصَةَ ٱلظَّفَرِ بِٱلأَميرَةِ لَيْلى قَريبَةٌ . لَقَدْ كانَ مُتَيَقِّنًا بِأَنَّ أَخَوَيْهِ عَلِيًّا وَأَحْمَدَ سَيَعْجَزانِ عَنْ إِحْضارِ ما هُوَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْبِساطِ ٱلسِّحْرِيِّ .

أَمّا عَلِيٌّ فَقَدْ وَصَلَ ، بَعْدَ مَسيرَةِ أَرْبَعَةِ أَيّامٍ ، إلى مَدينَةِ شيراز في بِلادِ فارِسَ في زِيِّ تاجِرِ جَواهِرَ . وَتَشْتَهِرُ شيراز بِشَوارِعِها ٱلْبَديعَةِ ٱلتَّنْسيقِ وَمَيادينِها ٱلْفَسيحَةِ وَمَتاجِرِها العامِرَةِ بِأَجْمَلِ ٱلْبَضائِعِ وَأَدَقِّ ٱلصِّناعاتِ .



جالَ عَلِيٌّ في شَوارِعِها ، وَرَأى ما أَثارَ إِعْجابَهُ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَطْمَئِنَّ إلى جَوْدةِ ما رَأى فَسارَ شارِدَ الذِّهْنِ ، قَلِقَ النَّفْسِ ، مُضْطَرِبَ الفِكْرِ ، وَقالَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : إِنَّ ما أَراهُ في هٰذِهِ المَدينةِ ، قَدْ يَتوافَرُ في مُدُنٍ أُخْرى . وَلَو اشْتَرَيْتُ شَيْئًا أَعْجَبَني كَثيرًا ، فَمَنْ يَضْمَنُ لي أَلّا يَشْتَرِيَ أَحَدُ شَقيقَيَّ ما هوَ أَفْضَلُ مِنْهُ ؟

إِسْتَعاذَ عَلِيٌّ بِاللهِ مِمّا أَصابَهُ مِنْ قَلَقٍ وَوَساوِسَ ، وَعاوَدَ التَّجْوالَ في الشَّوارِعِ ، إلى أَنْ مَرَّ ذاتَ يَوْمٍ بِمَتْجَرٍ لِبَيْعِ الأَشْياءِ النّادِرةِ ، فَدَخَلَهُ وَأَخَذَ يَجولُ فيهِ ، فَوَجَدَ أَشْياءَ كَثيرةً نادِرةً وَغَريبةً . وَأَخَذَ يُفَكِّرُ ماذا يَشْتَري مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الأَشْياءِ ؟

كانَ التَّرَدُّدُ ظاهِرًا عَلَيْهِ ، حَتّى إِنَّهُ أَخَذَ يُخاطِبُ نَفْسَهُ قائِلًا : قَدْ تَكونُ هُناكَ مَتاجِرُ أُخْرى في بِلادٍ غَيْرِ هٰذا البَلَدِ ، تَعْرِضُ ما هُوَ أَفْضَلُ وَأَغْرَبُ مِنْ هٰذِهِ الأَشْياءِ .

وَبَيْنَما هُوَ غارِقٌ في التَّفْكيرِ ، قَطَعَ عَلَيْهِ صاحِبُ المَتْجَرِ تَفْكيرَهُ قائِلًا : « أَهْلًا بِكَ في شيراز . هَلْ أَعْجَبَكَ شَيْءٌ في مَتْجَري فَآتيكَ بِهِ ؟ »

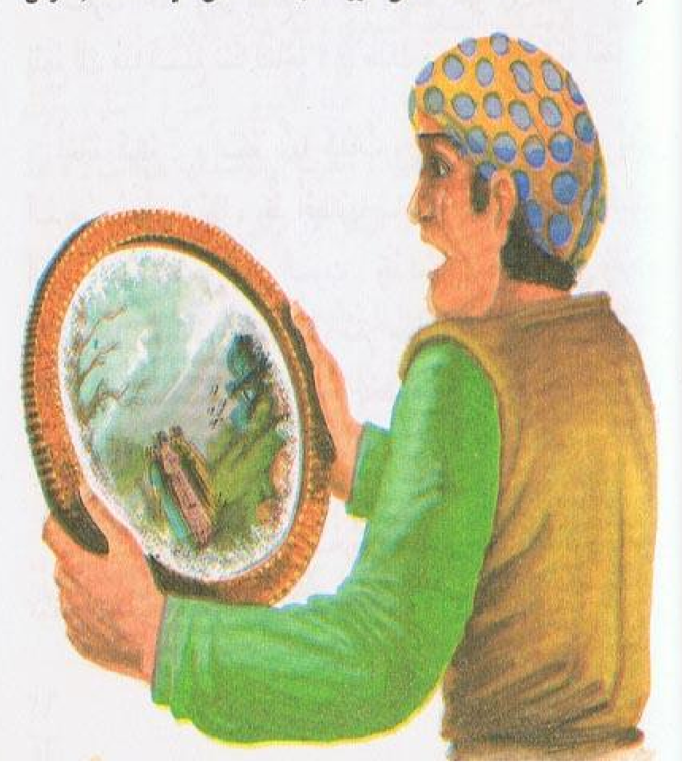
فَأَجابَهُ عَلِيٌّ : « أُريدُ شَيْئًا غَريبًا نادِرًا لا مَثيلَ لَهُ في العالَمِ . »

قالَ لَهُ التّاجِرُ : « قَبْلَ بِضْعةِ أَيّامٍ مَرَّ بِمَتْجَري رَجُلٌ عَجوزٌ يَحْمِلُ مِرآةً سِحْرِيَّةً تُمَكِّنُ صاحِبَها مِنْ رُؤْيةِ ما يُريدُ رُؤْيَتَهُ ، وَإِنْ كانَ في بِلادٍ بَعيدةٍ . وَقَدْ طَلَبَ العَجوزُ خَمْسَمِئةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ ثَمَنًا لَها . وَإِنّي أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّهُ لا مَثيلَ لِهٰذِهِ المِرآةِ في العالَمِ ، وَلَوِ اشْتَرَيْتَها لَفُزْتَ بِمُبْتَغاكَ . »

لٰكِنَّ عَلِيًّا رَأى أَنَّ الثَّمَنَ مُرْتَفِعٌ فَقالَ لِلتّاجِرِ : « تَقولُ إِنَّ ثَمَنَها خَمْسُمِئةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ ! إِنَّهُ لَثَمَنٌ مُرْتَفِعٌ ! »

وَلٰكِنَّ التّاجِرَ شَهِدَ لِلرَّجُلِ العَجوزِ بِالتَّقْوى وَشِدَّةِ الوَرَعِ وَالصِّدْقِ فَقالَ : « ياصاحِبي ! أُؤَكِّدُ لَكَ ، وَاللهُ عَلى ما أَقولُ شَهيدٌ ، أَنَّ صاحِبَ المِرآةِ السِّحْرِيَّةِ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يَعْرِفُ رَبَّهُ . وَإِذا قالَ أَنْ لا مَثيلَ لِمِرآتِهِ في العالَمِ ، فَهُوَ صادِقٌ فيما يَقولُ . وَعَلى أَيَّةِ حالٍ سَأَجيئُكَ بِهِ لِتَتَحَدَّثَ مَعَهُ . »

قَدِمَ العَجوزُ وَمَعَهُ المِرآةُ السِّحْرِيَّةُ وَقالَ لِعَلِيٍّ : « يابُنَيَّ ! إِنْ تَنْظُرْ فيها ، تَرَ الشَّخْصَ أَوِ الشَّيْءَ الَّذي تَتَمَنّى رُؤْيَتَهُ . إِلَيْكَ المِرآةَ لِتَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ قَوْلي . » وَسُرْعانَ ما نَظَرَ عَلِيٌّ في المِرآةِ فَرَأى والِدَهُ في ديوانِهِ يَتَحَدَّثُ مع وَزيرِهِ ، كَما رَأى الأَميرَةَ لَيْلى وَوَصيفاتِها يَتَمَشَّيْنَ في الحَديقةِ وَهُنَّ



يَتضاحَكْنَ . فلَمْ يَتَرَدَّدْ ثانيةً واحِدةً في شِراءِ ٱلـمِرآةِ ٱلسِّحْرِيَّةِ . ثُمَّ أَخذَ يُجَهِّزُ نَفْسَهُ لِلعَوْدةِ إلى ٱلـمَكانِ ٱلَّذي ٱتَّفَقَ مَعَ أَخَوَيْهِ عَلى ٱللِّقاءِ فيهِ .

أَمَّا ٱلأَميرُ أَحْمَدُ ، فَقَدْ تابَعَ ٱلسَّيْرَ حَتّى بَلَغَ مَدينةَ سَمَرْقَنْد ، وَطافَ بِمَتاجِرِ ٱلثِّيابِ وَٱلسَّجاجيدِ وَٱلجَواهِرِ وَغَيْرِها . وَرَأى ٱلكَثيرَ مِنَ ٱلبَضائِعِ ٱلفاخِرةِ وَٱلحاجاتِ ٱلنَّفيسةِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْ شَيْئًا يَشْتَريهِ ، خَشْيَةَ أَنْ يَجِدَ أَخَواهُ حُسَيْنٌ وَعَلِيٌّ ما هوَ أَفْضَلُ .

بَيْنَما هوَ جالِسٌ في شارِعِ ٱلصِّناعةِ ، سَمِعَ شَخْصًا يُنادي عَلى بِضاعَتِهِ قائِلًا : « أَيُّها ٱلنّاسُ ، تَعالَوا وَٱنْظُروا ! هٰذِهِ تُفّاحةٌ ثَمَنُها خَمْسُمِئةِ دينارٍ ذَهَبِيٍّ . هَلْ مِنْ مُشْتَرٍ ؟ »

ٱسْتَغْرَبَ أَحْمَدُ وَقالَ لِلْبائِعِ : « لَقَدْ غالَيْتَ كَثيرًا في ٱلثَّمَنِ . أَيْنَ مَنْ يَدْفَعُ لَكَ هٰذا ٱلـمَبْلَغَ ثَمَنًا لِتُفّاحةٍ ؟ إِنَّ طَلَبَكَ مَرْفوضٌ ، وَلا يَقْبَلُهُ ٱلعَقْلُ . »

أَجابَهُ ٱلبائِعُ : « ٱسْمَعْ أَيُّها ٱلشّابُّ ، إِنَّها تُفّاحةٌ سِحْرِيَّةٌ ، يُشْفى ٱلـمَريضُ بِمُجَرَّدِ شَمِّها ، وَقَدْ أَعْطانيها ساحِرٌ حَكيمٌ . لَقَدْ أَنْقَذَ ٱلسّاحِرُ ٱلكَثيرينَ مِمَّنْ كانوا عَلى فِراشِ ٱلـمَوتِ . وَقَدْ تَسْتَغْرِبُ وُجودَها مَعي وَعَرْضَها لِلْبَيْعِ ، فَصاحِبُها ٱلسّاحِرُ خَرَجَ في سَفَرٍ طَويلٍ ، وَنَسِيَ أَنْ يَأْخُذَها مَعَهُ . وَقَدْ مَرِضَ مَرَضًا شَديدًا فَأَرْسَلَ رَسولًا يُحْضِرُها لَهُ ، وَلٰكِنَّهُ فارَقَ ٱلحَياةَ قَبْلَ عَوْدةِ ٱلرَّسولِ . »

شَهِدَ ٱلكَثيرونَ بِأَنَّ ٱلتُّفّاحةَ ٱلسِّحْرِيَّةَ أَنْقَذَتْ زَوْجاتٍ وَأَطْفالًا مِنْ مَوْتٍ مُؤَكَّدٍ . وَأَخيرًا ٱقْتَنَعَ أَحْمَدُ بِما سَمِعَ ، وَٱشْتَرى ٱلتُّفّاحةَ ، وَرَحَلَ عَنْ

سَمَرْقَنْد إلى ٱلـمَكانِ ٱلَّذي ٱتَّفَقَ ٱلإِخْوةُ عَلى ٱللِّقاءِ فيهِ .

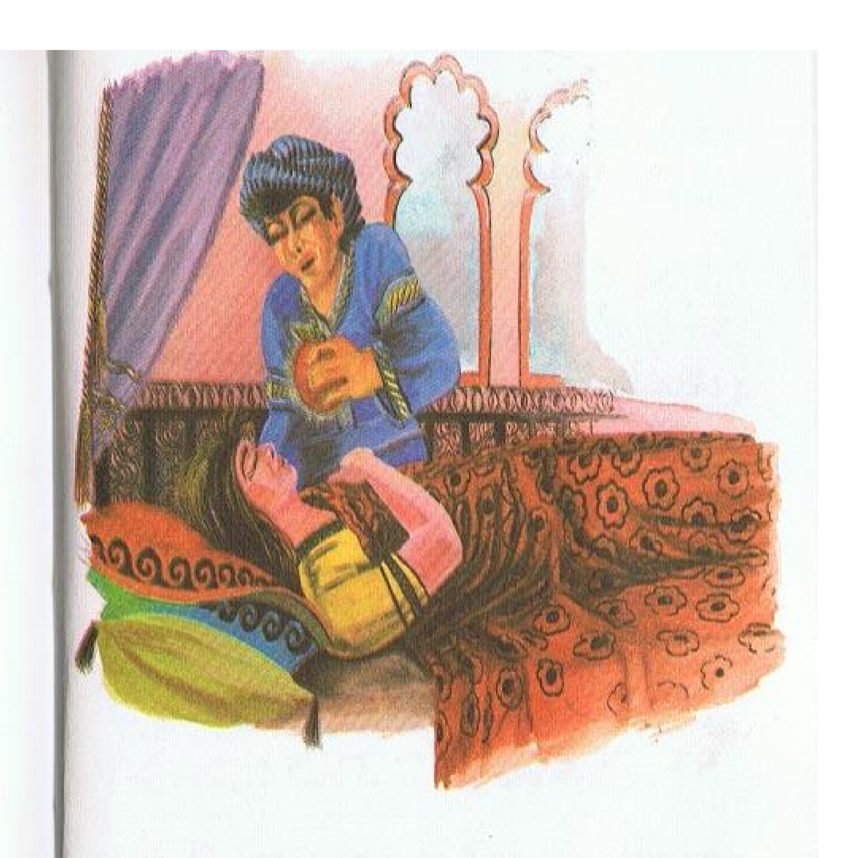
بَعْدَ مُضِيِّ عامٍ مِنْ سَفَرِهِمْ ، ٱلْتَقى ٱلإِخْوةُ ، وَعَرَضَ كُلُّ واحِدٍ ما أَحْضَرَهُ . وَتَشاءُ ٱلـمُصادَفةُ أَنْ يَنْظُرَ حُسَيْنٌ في خِلالِ ٱلـمِرْآةِ ٱلسِّحْرِيَّةِ ، عَلى أَمَلِ أَنْ يَرى ٱلأَميرةَ لَيْلى ، وَإِذا بِهِ يَصْرُخُ وَيَقولُ : « يا لَلْمُصيبةِ ! إِنَّ ٱلأَميرةَ لَيْلى مَريضةٌ جِدًّا ، وَهِيَ عَلى فِراشِ ٱلـمَوْتِ . »

ما إِنْ سَمِعَ ٱلأَخَوانِ هٰذا ٱلخَبَرَ ٱلـمُفْجِعَ حَتّى كادا يُصْعَقانِ . فَتَكَلَّمَ أَحْمَدُ وَقالَ : « عَلَيْنا أَنْ نَعودَ في ٱلحالِ ، وَسَأُنْقِذُ لَيْلى بِتُفّاحَتي ٱلسِّحْرِيَّةِ . » وَلٰكِنَّ ٱلوَقْتَ كانَ يَمُرُّ سَريعًا ، وَكُلُّ دَقيقةٍ لَها ثَمَنُها ، لِأَنَّ حالةَ لَيْلى كانَتْ تُنْذِرُ بِٱلخَطَرِ ، فَقَدْ تُفارِقُ ٱلحَياةَ قَبْلَ وُصولِهِمْ . عِنْدَئِذٍ قالَ حُسَيْنٌ لِأَخَوَيْهِ : « سَنَرْكَبُ ٱلبِساطَ ٱلسِّحْرِيَّ ، قَبْلَ فَواتِ ٱلأَوانِ . »

بَعْدَ دَقائِقَ مَعْدوداتٍ كانوا في غُرْفةِ ٱلأَميرةِ . وَأَسْرَعَ أَحْمَدُ ، وَقَرَّبَ ٱلتُّفّاحةَ مِنْ أَنْفِها فَفَتَحَتْ عَيْنَيْها ، وَنَظَرَتْ إلى وَصيفاتِها ، وَقالَتْ : « لَقَدْ كُنْتُ في نَوْمٍ عَميقٍ ، وَأُريدُ أَنْ أَنْهَضَ مِنْ فِراشي وَأَلْبَسَ ثِيابي . »

غادَرَ ٱلأُمَراءُ ٱلغُرْفةَ ، وَذَهَبوا إلى والِدِهِمُ ٱلسُّلْطانِ وَبَدَأَ حُسَيْنٌ ٱلحَديثَ قائِلًا : « هَلْ لَكَ ياوالِدي أَنْ تَنْظُرَ إلى هٰذا ٱلبِساطِ ٱلسِّحْرِيِّ ٱلَّذي لا مَثيلَ لَهُ في ٱلعالَمِ ، فَهُوَ ٱلَّذي حَمَلَنا إلى ٱلقَصْرِ في مِثْلِ تِلْكَ ٱلسُّرْعةِ ، فَأَنْقَذَ حَياةَ لَيْلى . إِنَّهُ بِساطي ، وَأَنا ٱلأَحَقُّ بِأَنْ أَتَزَوَّجَها . »

قالَ أَحْمَدُ : « أَنا أَنْقَذْتُ حَياتَها بِٱلتُّفّاحةِ ٱلسِّحْرِيَّةِ ، وَأَنا أَحَقُّ بِأَنْ أَتَزَوَّجَها . »



قالَ عَلِيٌّ : « لَوْلا مِرْآتي السِّحْرِيَّةُ لَما عَلِمْنا بِمَرَضِها ، وَلَما تَيَسَّرَ لَنا الْوُصولُ في الْوَقْتِ الْمُناسِبِ ، وَإِنْقاذُ حَياتِها ، وَإِنِّي أُصِرُّ عَلى أَنْ تَكونَ لَيْلى زَوْجَتي . »

قالَ حُسَيْنٌ : « وَلٰكِنْ لا تَنْسَ ياعَلِيُّ ، لَوْلا بِساطي السِّحْرِيُّ ، لَما وَصَلْنا في الْوَقْتِ الْمُناسِبِ ، وَأَنْقَذْنا حَياتَها . وَإِنِّي مُصِرٌّ عَلى قَوْلي بِأَنِّي أَوْلى بِها مِنْكُما . »

قالَ أَحْمَدُ : « أُؤَكِّدُ ثانِيَةً أَنَّهُ لَوْلا تُفّاحَتي السِّحْرِيَّةُ لَما كُتِبَ لَها الشِّفاءُ ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ لَيْلى سَتَكونُ زَوْجَتي أَنا . »

وَجَدَ السُّلْطانُ نَفْسَهُ في حَيْرَةٍ ، فَهُوَ لا يَدْري أَيُّهُمْ أَحَقُّ بِالزَّواجِ بِلَيْلى .

* * *

وَهُنا تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ الْكَلامِ قَبْلَ أَنْ تَنْتَهِيَ حِكايَتُها . وَدَفَعَ حُبُّ الاسْتِطْلاعِ السُّلْطانَ أَنْ يَسْأَلَها : « أَخْبِريني : أَيُّ الإِخْوَةِ سَيَكونُ لِلأَميرَةِ ؟ ماذا قالَ والِدُهُمْ ؟ »

عِنْدَئِذٍ نَظَرَتْ شَهْرَزادُ عَبْرَ النّافِذَةِ وَقالَتْ : « ها هِيَ ذي الشَّمْسُ تُشْرِقُ ، وَعَلَيَّ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الْكَلامِ . فَانْتَظِروا حَتّى غَدٍ . وَإِذا مِتُّ قَبْلَ غَدٍ فَابْحَثوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْجَوابِ . »

فِي صَباحِ الْيَوْمِ التّالي ، اسْتَأْنَفَتْ شَهْرَزادُ حِكايَتَها بِسَرْدِ الْحِوارِ الطَّريفِ بَيْنَ السُّلْطانِ وَأَوْلادِهِ .

قالَ السُّلْطانُ : « ياحُسَيْنُ ! هَلْ سَتُعْطي زَوْجَتَكَ الْبِساطَ السِّحْرِيَّ بَعْدَ الزَّواجِ ؟ »

قالَ حُسَيْنٌ : « كَلّا ياوالِدي بَلْ سَنَطيرُ عَلَيْهِ مَعًا ، وَلَنْ أَدَعَها تَذْهَبُ وَحْدَها وَتَتْرُكُني خَلْفَها . »

قالَ السُّلْطانُ : « ياعَلِيُّ ! هَلْ سَتُعْطي لَيْلى الْمِرْآةَ السِّحْرِيَّةَ بَعْدَ الزَّواجِ ، أَمْ أَنَّكَ سَتَحْتَفِظُ بِها لِنَفْسِكَ ؟ »

قالَ عَلِيٌّ : « سَأَحْتَفِظُ بِها لِنَفْسي ، لِأَنِّي أُحِبُّ أَنْ أَرى زَوْجَتي مِئاتِ

ٱلْمَرَّاتِ كُلَّ يَوْمٍ ، أَمَّا هِيَ فَلا تُحِبُّ أَنْ تَرانِي لِأَنِّي لَسْتُ وَسِيمًا . »

قالَ ٱلسُّلْطانُ : « ياأَحْمَدُ ؟ هَلْ تَتنازَلُ عَنِ ٱلتُّفّاحةِ ٱلسِّحْرِيَّةِ لِلَيْلى بَعْدَ زَواجِكُما ؟ »

قالَ أَحْمَدُ : « بِكُلِّ سُرورٍ ! سَأَمْنَحُها ٱلتُّفّاحةَ مِلْكًا لَها دونَ غَيْرِها . »

سَأَلَ ٱلسُّلْطانُ : « وَلِمَ سَتَتنازَلُ عَنْها ؟ »

أَجابَ أَحْمَدُ : « لِأَنَّها لَوْ ماتَتْ ، لا قَدَّرَ ٱللهُ ، لَما طابَتْ لِيَ ٱلحَياةُ بِدُونِها . »

قالَ ٱلسُّلْطانُ : « لَقَدْ كانَ جَوابُكَ ، ياأَحْمَدُ ، أَفْضَلَ جَوابٍ ، وَلِهٰذا فَأَنْتَ أَحَقُّ بِٱلأَميرةِ مِنْ أَخَوَيْكَ . »

وَما إِنْ سَمِعَتْ لَيْلى حُكْمَ ٱلسُّلْطان ، حَتَّى هَتَفَتْ قائِلَةً : « إِنَّ ما قَضَيْتَ بِهِ يامَوْلايَ هُوَ نَفْسُ ما كُنْتُ أَتَمَنّاهُ . »

* * *

اِنْتَهَتْ شَهْرَزادُ مِنْ قِصَّتِها ، وَٱلْتَفَتَتْ إِلى ٱلسُّلْطانِ شَهْرَيار وَقالَتْ لَهُ : « لَدَيَّ قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ عَنْ قَزَمٍ وَشَوْكَةِ سَمَكَةٍ . فَهَلْ تَرْغَبُ في سَماعِها ؟ »

أَجابَ ٱلسُّلْطانُ : « نَعَمْ ! أَرْجو أَنْ تُسْمِعيني إِيّاها . »

ٱلْفَصْلُ ٱلتّاسِعُ

ٱلْقَزَمُ و شَوْكَةُ ٱلسَّمَكَةِ

عاشَ في مَدِينَةِ كَشْغَر رَجُلٌ اسْمُهُ عَلِيّ عَبْدُ ٱلرّازِق ، أَحَبَّ زَوْجَتَهُ وَأَحَبَّتْهُ . كانَ عَلِيٌّ يَمْلِكُ مَتْجَرًا صَغيرًا لِبَيْعِ ٱلمَلابِسِ ، يُدِرُّ عَلَيْهِ ما يَفي بِحاجاتِ مَعيشَتِهِ وَيَزيدُ . وَذاتَ يَوْمٍ ، بَيْنَما كانَ يَجْلِسُ في مَتْجَرِهِ وَقَفَ قَزَمٌ أَمامَ ٱلمَتْجَرِ ، وَأَخَذَ يُغَنّي وَيَروي ٱلطَّرائِفَ . فَطَرِبَ عَلِيٌّ وَضَحِكَ وَخَرَجَ مِنْ مَتْجَرِهِ وَقالَ لِلْقَزَمِ :

« أَيُّها ٱلقَزَمُ ، لَقَدْ أَعْجَبَتْني أَغانيكَ وَطَرائِفُكَ ، وَامْرَأَتي تَهْوى ٱلأَغانيَ وَسَماعَ ٱلطَّرائِفِ ، فَتَعالَ مَعي ظُهْرَ ٱليَوْمِ إِلى بَيْتي ، وَسَآخُذُ مَعي سَمَكَةً لِتَكونَ لَنا وَجْبَةً شَهِيَّةً . »

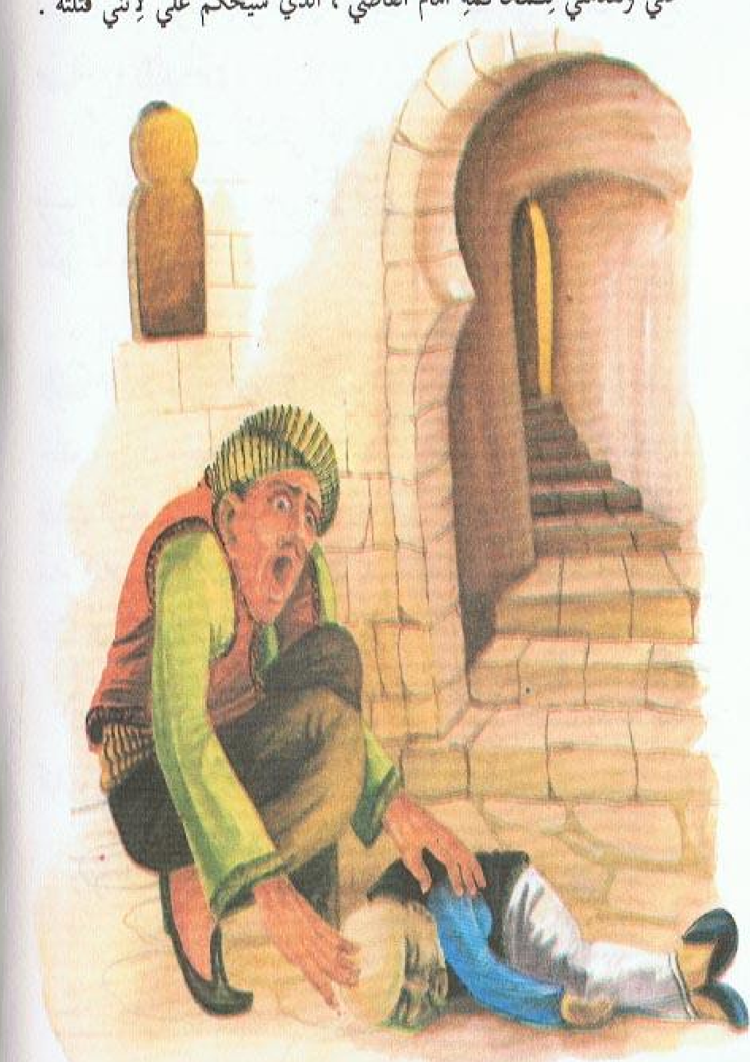
ما إِنِ انْتَصَفَ ٱلنَّهارُ ، حَتّى اصْطَحَبَ عَلِيٌّ ٱلقَزَمَ إِلى بَيْتِهِ . أَعَدَّتِ ٱلزَّوْجَةُ ٱلطَّعامَ فَأَقْبَلَ ٱلقَزَمُ عَلى الْتِهامِ ٱلسَّمَكَةِ بِنَهَمٍ ، فَعَلِقَتْ شَوْكَةٌ في حَلْقِهِ ، وَازْرَقَّ وَجْهُهُ ، وَعَجَزَ عَنِ ٱلنُّطْقِ . اِسْتَبَدَّ ٱلخَوْفُ بِعَلِيٍّ وَزَوْجَتِهِ ، فَقالَتِ ٱلزَّوْجَةُ : « إِذا ماتَ ٱلقَزَمُ في بَيْتِنا تَعَيَّنَ عَلَيْنا إِبْلاغُ ٱلشُّرْطَةِ ، وَٱلمُثولُ أَمامَ ٱلقاضي لِلإِدْلاءِ بِشَهادَتِنا ، وَقَدْ يَدينُنا ٱلقاضي لِأَنَّنا تَسَبَّبْنا في وَفاتِهِ . عَلَيْنا أَنْ نَتَدَبَّرَ ٱلأَمْرَ قَبْلَ فَواتِ ٱلأَوانِ . »

أَجابَها زَوْجُها : « لَيْسَ أَمامَنا إِلّا أَنْ نَنْقُلَهُ إِلى بَيْتِ ٱلطَّبيبِ وَنَتْرُكَهُ عِنْدَ ٱلبابِ وَنَهْرُبَ . »

وَعِنْدَما خَلَتِ ٱلطَّريقُ مِنَ ٱلنّاسِ حَمَلا ٱلقَزَمَ إِلى عِيادَةِ ٱلطَّبيبِ وَصَعِدا

سُلَّمًا مِنْ عَشْرِ دَرَجاتٍ يَنْتَهي إلى بابِ ٱلعيادةِ ، وَأَوْقَفاهُ مُتَّكِئًا عَلى ٱلبابِ ، وَعادا مِنْ حَيْثُ أَتَيا . وَعِنْدَما فَتَحَ ٱلطَّبيبُ ٱلبابَ ، سَقَطَ ٱلقَزَمُ ، وَسَقَطَ مَعَهُ ٱلطَّبيبُ ، وَتَدَحْرَجا فَوْقَ دَرَجاتِ ٱلسُّلَّمِ حَتّى أَسْفَلِهِ .

نَهَضَ ٱلطَّبيبُ وَنَظَرَ إلى ٱلقَزَمِ وَقالَ : « يا إِلٰهي ! إِنَّهُ مَيِّتٌ ، وَسَأُتَّهَمُ بِأَنّي دَفَعْتُ بِهِ مِنْ أَعْلى ٱلسُّلَّمِ وَتَسَبَّبْتُ في وَفاتِهِ . وَسَتُلْقي ٱلشُّرْطَةُ ٱلقَبْضَ عَلَيَّ وَتُقَدِّمُني لِلْمُحاكَمَةِ أَمامَ ٱلقاضي ، ٱلَّذي سَيَحْكُمُ عَلَيَّ لِأَنَّني قَتَلْتُهُ .



وَلِهٰذا عَلَيَّ نَقْلُ ٱلجُثَّةِ وَإِخْفاؤُها عَنِ ٱلعُيونِ في مَكانٍ بَعيدٍ عَنْ عِيادَتي . »

كانَ يُقيمُ في ٱلبَيْتِ ٱلمُقابِلِ لِبَيْتِ ٱلطَّبيبِ خَبّازٌ يُدْعى عَبْدُ ٱللهِ . وَقَدْ راوَدَتِ ٱلطَّبيبَ فِكْرَةٌ تُخَلِّصُهُ مِنْ مَسْؤوليَّةِ ما حَدَثَ ، إِذْ قالَ لِنَفْسِهِ : عَبْدُ ٱللهِ لَيْسَ في بَيْتِهِ ، فَٱلأَضْواءُ مُطْفَأَةٌ . وَهُوَ في هٰذا ٱلوَقْتِ يَعْمَلُ في مَخْبَزِهِ عادَةً . سَأَنْقُلُ ٱلجُثَّةَ إلى بَيْتِ عَبْدِ ٱللهِ .

حَمَلَ ٱلجُثَّةَ ، وَعَبَرَ ٱلشّارِعَ إلى بَيْتِ عَبْدِ ٱللهِ ، وَأَجْلَسَها عَلى كُرْسِيٍّ مُطْمَئِنًّا نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : عِنْدَما يَعودُ عَبْدُ ٱللهِ في وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنَ ٱللَّيْلِ ، سَيَظُنُّهُ لِصًّا جاءَ لِسَرِقَةِ ٱلمَنْزِلِ . وَسَأَضَعُ أَمامَهُ قَليلًا مِنَ ٱلخُبْزِ .

نَفَّذَ ٱلطَّبيبُ ٱلخُطَّةَ ٱلَّتي رَسَمَها ، وَعادَ مُسْرِعًا إلى عِيادَتِهِ .

عِنْدَما عادَ عَبْدُ ٱللهِ إلى بَيْتِهِ ، وَجَدَ ٱلقَزَمَ جالِسًا إلى ٱلمائِدَةِ وَٱلخُبْزُ أَمامَهُ ، فَلَمْ يَتَمالَكْ نَفْسَهُ مِنَ ٱلضَّحِكِ وَصاحَ بِهِ : « إِذًا أَنْتَ ٱللِّصُّ ٱلَّذي اعْتادَ سَرِقَةَ خُبْزي . » وَضَرَبَهُ بِقُوَّةٍ ، فَأَطاحَ بِهِ عَنِ ٱلكُرْسِيِّ . ثُمَّ ٱنْتَظَرَ أَنْ يَنْهَضَ ٱلقَزَمُ لٰكِنَّهُ لَمْ يَتَحَرَّكْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَبْدُ ٱللهِ وَقالَ : « يا إِلٰهي ! إِنَّهُ مَيِّتٌ . » فَٱنْتابَهُ خَوْفٌ شَديدٌ ، وَأَخَذَ يُؤَنِّبُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ : إِنَّ مِنْ حَقّي أَنْ أَضْرِبَهُ ، وَلٰكِنْ لَيْسَ مِنْ حَقّي أَنْ أَقْتُلَهُ . يَجِبُ أَنْ أَحْمِلَهُ إلى مَكانٍ آخَرَ ، وَإِلّا فَسَتُلْقي ٱلشُّرْطَةُ ٱلقَبْضَ عَلَيَّ لِأَمْثُلَ أَمامَ ٱلقاضي ٱلَّذي سَيَتَّهِمُني بِٱلقَتْلِ ٱلمُتَعَمَّدِ . لِمَ لا أَضَعُهُ أَمامَ بَيْتِ سالِمٍ فَهُوَ رَجُلٌ ثَرِيٌّ ، يَسْهَرُ مَعَ أَصْدِقائِهِ خارِجَ بَيْتِهِ حَتّى ساعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ ٱللَّيْلِ ؟

عادَ سالِمٌ ، فَوَجَدَ ٱلقَزَمَ عَلى بابِهِ ، وَٱسْتَغْرَبَ وُجودَهُ في مِثْلِ تِلْكَ

السَّاعةِ الـمُتأخِّرةِ مِنَ اللَّيْلِ . فصاحَ بِهِ : « ماذا تفعَلُ هُنا يارجُلُ ؟ ما الَّذي تُريدُهُ بِوُقوفِكَ على بابي ؟ تكلَّمْ .. أَجِبْني . » ولٰكِنَّه لَمْ يَسْمَعْ جوابًا ، فاغْتاظَ مِنْهُ وَرَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ، فَسَقَطَ عَلى الأَرْضِ بِلا حَراكٍ .

وَتَشاءُ الـمُصادَفةُ أَنْ يَمُرَّ شُرْطيٌّ في الشّارِعِ نَفْسِهِ وَيَشْهَدَ ما حَدَثَ ، فَأَلْقى القَبْضَ على سالِمٍ وَاتَّهَمَهُ بِالقَتْلِ ، وَساقَهُ إلى الشُّرْطَةِ . وَفي اليَوْمِ التّالي ، جيءَ بِسالِمٍ إلى القاضي الَّذي قالَ لَهُ : « لَقَدْ عُدْتَ ، ياسالِمُ إلى بَيْتِكَ بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيلِ ، وَرَكَلْتَ القَزَمَ بِقَدَمِكَ فَماتَ . وَبِناءً عَلى ذٰلِكَ فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْكَ بِالـمَوْتِ شَنْقًا . »

كانَ عَبْدُ اللهِ مِمَّنْ شَهِدوا الـمُحاكَمةَ ، وَسَمِعَ الحُكْمَ بِالشَّنْقِ على سالِمٍ ، فَأَنَّبَهُ ضَميرُهُ لِتَأَكُّدِهِ مِنْ بَراءةِ سالِمٍ . وَقَبْلَ أَنْ تَنْفَضَّ الـمَحْكَمةُ اسْتَأْذَنَ القاضيَ ، وَقالَ : « ياسَيِّدي القاضي ، أَنا الَّذي قَتَلَ القَزَمَ ، وَوَضَعَ جُثَّتَهُ أَمامَ بَيْتِ سالِمٍ ، خَشْيةَ أَنْ يُلْقى القَبْضُ عَلَيَّ . إِنَّ القَتيلَ لِصٌّ مُحْتَرِفٌ وَجَدْتُهُ في بَيْتي يَجْلِسُ عَلى مائِدَتي وَالخُبْزُ أَمامَهُ ، فَلَمْ أَتَمالَكْ نَفْسي ، مِنْ شِدَّةِ الغَضَبِ ، فَضَرَبْتُهُ وَسَقَطَ بَعْدَها مَيِّتًا . »

اِلْتَفَتَ القاضي إلى عَبْدِ اللهِ قائِلًا : « تَقولُ إِنَّكَ في ساعةِ الغَضَبِ ضَرَبْتَ هٰذا القَزَمَ الـمِسكينَ ، وَتَسَبَّبْتَ في مَوْتِهِ ! حَكَمْتُ عَلَيْكَ لِذٰلِكَ بِالـمَوْتِ شَنْقًا . »

ما إِنْ نَطَقَ القاضي بِالحُكْمِ ، حَتّى نَهَضَ الطَّبيبُ ، وَكانَ حاضِرًا ، وَقالَ لِلقاضي : « يافَضيلةَ القاضي ! أَنا الَّذي وَضَعَ القَزَمَ في بَيْتِ عَبْدِ اللهِ ، بَعْدَ

أَنْ تَدَحْرَجَ فَوْقَ سُلَّمِ عِيادَتي . وَلا يَليقُ بِشَرَفِ مِهْنَتي ، كَطَبيبٍ ، أَنْ أَتَهَرَّبَ مِنَ الحَقيقةِ ، فَأَنا السَّبَبُ في مَوْتِهِ . » إِزاءَ هٰذا الاِعْتِرافِ ، قالَ القاضي : « تَقولُ ، أَيُّها الطَّبيبُ ، إِنَّكَ تَسَبَّبْتَ في مَوْتِهِ . حَكَمْتُ عَلَيْكَ إِذًا ، بِالـمَوْتِ شَنْقًا . »

كانَ عَلِيٌّ عَبْدُ الرازِقِ في الـمَحْكَمةِ ، وَسَمِعَ حُكْمَ القاضي بِشَنْقِ الطَّبيبِ . فَأَبى عَلَيْهِ ضَميرُهُ الحَيُّ أَنْ يُؤْخَذَ البَريءُ بِذَنْبِ الـمُسيءِ ، وَيُساقَ إلى حَبْلِ الـمِشْنَقةِ . فَهَبَّ واقِفًا وَقالَ لِلْقاضي : « ياسَيِّدي القاضي ! إِنَّ مَنْ قاضَيْتَهُمْ أَبْرياءُ ، فَأَنا الَّذي وَضَعَ جُثَّةَ القَزَمِ أَمامَ عِيادةِ الطَّبيبِ ، بَعْدَ أَنْ عَلِقَتْ في حَلْقِهِ شَوْكةُ سَمَكةٍ وَماتَ . إِنَّ خَوْفي مِنْ مَعْرِفةِ الشُّرْطةِ بِمَوْتِهِ ، دَفَعَني إلى حَمْلِهِ وَوَضْعِهِ أَمامَ بابِ العِيادةِ وَالفِرارِ . » فَقالَ لَهُ القاضي :

« إِنَّكَ تَعْرِفُ بِأَنَّ القَزَمَ كانَ عَلى وَشْكِ الـمَوْتِ ، وَلٰكِنَّكَ لَمْ تَسْتَدْعِ الطَّبيبَ لِإِسْعافِهِ ، بَلْ تَسَبَّبْتَ في وَفاتِهِ لِذٰلِكَ أَحْكُمُ عَلَيْكَ بِالشَّنْقِ . »

كانَ مُسْتَشارُ الـمَلِكِ بَيْنَ مَنْ حَضَروا الـمُحاكَمةَ ، وَتَتَبَّعوا أَقْوالَ الـمُتَّهَمينَ ، وَسَمِعوا الأَحْكامَ الَّتي صَدَرَتْ بِحَقِّ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ . لِذٰلِكَ لَمْ يَسَعْهُ إِلّا أَنْ يُعَلِّقَ عَلى الأَحْكامِ بِقَوْلِهِ :

« وَلٰكِنَّكَ يافَضيلةَ القاضي ، لا تَسْتَطيعُ أَنْ تَحْكُمَ بِالشَّنْقِ عَلى أَرْبَعةِ رِجالٍ في آنٍ واحِدٍ . »

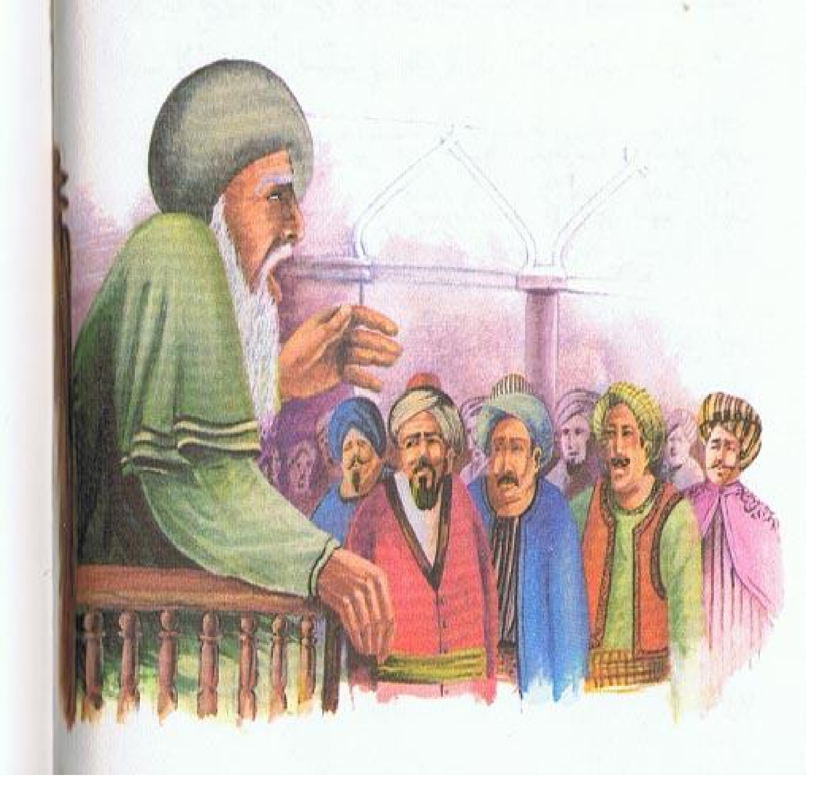
فَرَدَّ القاضي : « إِنَّ ما تَقولُهُ ، ياسَيِّدي الوَزيرَ ، عَيْنُ الصَّوابِ ، وَلٰكِنْ مَنْ مِنَ الأَرْبَعةِ يَسْتَحِقُّ الشَّنْقَ ؟ هٰذا هُوَ السُّؤالُ الَّذي لا بُدَّ مِنَ الإِجابةِ عَنْهُ . فَالـمُتَّهَمُ الأَوَّلُ عَلِيٌّ عَبْدُ الرّازِقِ ، لَمْ يَسْتَدْعِ الطَّبيبَ لِإِسْعافِ القَزَمِ الَّذي

كانَ مُشْرِفًا على المَوْتِ . وَالمُتَّهَمُ الثّاني الطَّبيبُ ، لَعَلَّهُ تَسَبَّبَ في مَوْتِهِ وَهُو يُحْتَضَرُ ، بَعْدَ أَنْ دُحْرِجَ على سُلَّمِ عيادَتِهِ . وَالمُتَّهَمُ الثّالِثُ عَبْدُ اللهِ ، ضَرَبَهُ ضَرْبَةً لَعَلَّها هِيَ الَّتي أَوْدَتْ بِحَياتِهِ . أَمّا سالِمٌ فَقَد رَكَلَهُ بِقَدَمِهِ ، وَلَعَلَّهُ ماتَ بِسَبَبِها إِنْ لَمْ يَكُنْ فارَقَ الحَياةَ قَبْلَ رَكْلِهِ . »

* * *

هُنا تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ الكَلامِ ، وَلٰكِنَّ السُّلْطانَ شَهْرَيارَ سَأَلَها : « مَنْ مِنَ الأَرْبَعَةِ حَكَمَ عَلَيْهِ القاضي بِالشَّنْقِ أَخيرًا ؟ »

لٰكِنَّ شَهْرَزاد لَمْ تُجِبْهُ ، بَلْ نَظَرَتْ إِلى النّافِذَةِ وَقالَتْ : « قَد انْبَلَجَ الصَّباحُ ، وَلَنْ أَسْتَطيعَ أَنْ أُجيبَكَ عَنْ سُؤالِكَ . وَقَدْ أَكونُ في عِدادِ المَوْتى



غَدًا ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ نِهايَةِ القِصَّةِ بِنَفْسِكَ يامَوْلايَ ! »

عِنْدَئِذٍ طَمْأَنَها شَهْرَيارُ عَلى حَياتِها لِيَوْمٍ آخَرَ ، وَقالَ لَها : « يُمْكِنُكِ ، ياشَهْرَزادُ ، أَنْ تُسْمِعيني نِهايَةَ القِصَّةِ غَدًا . »

في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ أَكْمَلَتْ شَهْرَزادُ قِصَّتَها . قالَتْ :

لَقَدْ حَدَثَ ما لَمْ يَكُنْ في الحُسْبانِ ، فَقَدْ قَدِمَ إِلى المَحْكَمَةِ وَزيرُ مَلِكِ كَشْغَر وَمَعَهُ طَبيبُ المَلِكِ . قالَ الوَزيرُ لِلْقاضي : « لَقَدْ فُقِدَ أَحَدُ خَدَمِ المَلِكِ ، وَأَمَرْنا الشُّرْطَةَ بِالبَحْثِ عَنْهُ في كُلِّ مَكانٍ . لَقَدْ غادَرَ القَصْرَ البارِحَةَ ، وَلَمْ يُعْثَرْ لَهُ عَلى أَثَرٍ . وَلِلْخادِمِ مَكانَةٌ لَدى المَلِكِ ، فَهُوَ سَميرُهُ الَّذي يُطْرِبُهُ بِأَغانيهِ ، وَيُدْخِلُ السُّرورَ إِلى قَلْبِهِ بِما يَرْويهِ مِنْ طَرائِفَ وَحِكاياتٍ . وَالمَلِكُ الآنَ في غَضَبٍ شَديدٍ ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلى ضَرورَةِ الإِسْراعِ في العُثورِ عَلَيْهِ . »

رَدَّ القاضي عَلى الوَزيرِ قائِلًا : « إِنَّ المَدينَةَ تَعِجُّ بِمِئاتِ المُغَنّينَ وَرُواةِ القِصَصِ . كَيْفَ نَسْتَطيعُ العُثورَ عَلى رَجُلِ المَلِكِ مِنْ بَيْنِ المِئاتِ ؟ » فَقاطَعَهُ الوَزيرِ قائِلًا : « وَلٰكِنَّهُمْ لَيْسوا جَميعًا أَقْزامًا . »

شَعَرَ القاضي بِالارْتِياحِ ، وَسَأَلَ الوَزيرَ : « تَقولُ ، ياسِيادَةَ الوَزيرِ إِنَّهُ قَزَمٌ ؟ إِذا دَخَلْتَ الغُرْفَةَ المُجاوِرَةَ ، فَقَد تَراهُ . »

وَما إِنْ دَخَلَ الوَزيرُ الغُرْفَةَ حَتّى صاحَ : « إِنَّهُ الشَّخْصُ الَّذي نَبْحَثُ عَنْهُ . » وَلَمّا سَأَلَ عَنْ سَبَبِ مَوْتِهِ ، أَجابَ القاضي : « إِنَّ شَوْكَةَ سَمَكَةٍ

عَلِقَتْ في حَلْقِهِ وَأَوْدَتْ بِحَياتِهِ . وَلِذٰلِكَ أَحْكُمُ عَلَيها بِالشَّنْقِ وَأُبَرِّئُ ساحةَ الآخَرينَ ؛ فَالشَّوكَةُ هِيَ قاتِلَةُ القَزَمِ . وَلٰكِنْ قَبْلَ تَنْفيذِ الحُكْمِ ، أُريدُ أَنْ أَرى الشَّوكَةَ لِأَتَأَكَّدَ مِنْ صِدْقِ عَلِيّ عبدِ الرَّازِقِ . »

فَتَحَ الطَّبيبُ فَمَ القَزَمِ وَقالَ : « أُبَشِّرُكُمْ بِأَنَّ القَزَمَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ ، وَسَيَعودُ سَليمًا عِنْدَ إِخْراجِ الشَّوكَةِ مِنْ حَلْقِهِ . »

أَخْرَجَ الطَّبيبُ أَداةً مِنْ صُنْدوقِ أَدَواتِهِ ، وَفَتَحَ فَمَ القَزَمِ وَأَخْرَجَ الشَّوكَةَ . وَما هِيَ إِلَّا لَحَظاتٌ حَتَّى فَتَحَ القَزَمُ عَيْنَيْهِ ، وَاسْتَعادَ وَعْيَهُ ، وَنَهَضَ عَلى قَدَمَيْهِ وَعادَ إِلى القَصْرِ . وَسُرَّ المَلِكُ مِنَ الطَّبيبِ ، وَكافَأَهُ بِخَمْسينَ دينارًا ذَهَبِيًّا .

ما كادَتْ شَهْرَزادُ تَنْتَهي مِنْ حِكايَةِ القَزَمِ حَتَّى قالَتْ : « لَقَدْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، وَلَنْ يَتَّسِعَ لِيَ الوَقْتُ لِأَقُصَّ عَلى مَسامِعِكَ ، أَيُّها السُّلْطانُ ، قِصَّةً مِنْ أَمْتَعِ القِصَصِ الَّتي أَعْرِفُها . إِنَّها قِصَّةُ (عَلاءُ الدِّينِ وَالمِصْباحُ السِّحْرِيُّ .) قَدْ تَسْتَطيعُ أُخْتي دُنْيازادُ أَنْ تَقُصَّها عَلَيْكَ . » وَلٰكِنَّ دُنْيازادَ اعْتَذَرَتْ لِأَنَّها قَدْ نَسِيَتْها ، فَأَمَرَ السُّلْطانُ شَهْرَزادَ أَنْ تَقُصَّها عَلَيْهِ في اليَوْمِ التَّالي .

الفَصْلُ العاشِرُ

عَلاءُ الدِّينِ وَ المِصْباحُ السِّحْرِيُّ

في قَديمِ الزَّمانِ كانَ يَعيشُ في أَحَدِ البُلْدانِ الإِفْريقِيَّةِ ساحِرٌ اسْمُهُ مَنْصور ، اتَّفَقَ أَنْ قَرَأَ في أَحَدِ كُتُبِ السِّحْرِ عَنْ مِصْباحٍ سِحْرِيٍّ مَدْفونٍ في بِلادِ الصِّينِ . وَفي ذٰلِكَ الزَّمانِ أَيْضًا كانَ يَعيشُ في الصِّينِ غُلامٌ فَقيرٌ ، يَسْكُنُ مَعَ والِدَتِهِ في كوخٍ . وَكانَ الغُلامُ وَوالِدَتُهُ مِنَ الفَقْرِ بِحَيْثُ لَمْ يَكونا يَجِدانِ أَحْيانًا طَعامًا . وَلَمَّا ساءَتْ حالُهُما ، قالَتِ الأُمُّ لِوَلَدِها : « اِذْهَبْ ، ياعَلاءَ الدِّينِ ، إِلى الحُقولِ وَاجْمَعِ الأَزْهارَ وَبِعْها لِنَشْتَرِيَ بِثَمَنِها ما نَحْتاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعامٍ . »

ذَهَبَ عَلاءُ الدِّينِ إِلى الحُقولِ يَجْمَعُ زَهْرَةً مِنْ هُنا وَأُخْرى مِنْ هُناكَ ، إِلى أَنْ ساقَتْهُ قَدَماهُ إِلى الحَقْلِ الَّذي دُفِنَ فيهِ المِصْباحُ السِّحْرِيُّ . كانَ المِصْباحُ مَدْفونًا في سِرْدابٍ تُغَطِّيهِ الحَشائِشُ ، وَكانَ السَّاحِرُ الإِفْريقِيُّ قَدْ عَرَفَ الطَّريقَ إِلَيْهِ وَأَزاحَ الحَشائِشَ عَنْهُ . وَبَيْنَما كانَ يَنْظُرُ يَمْنَةً وَيَسْرَةً رَأى عَلاءَ الدِّينِ يَجْمَعُ الأَزْهارَ ، فَدَعاهُ وَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قالَ لَهُ :

« ياعَلاءَ الدِّينِ ، أَرْجو أَنْ تُسْدِيَ إِلَيَّ خِدْمَةً ، فَفي أَسْفَلِ السِّردابِ مِصْباحٌ يُهِمُّني الحُصولُ عَلَيْهِ . وَكَما تَرى ، فَإِنَّ المَدْخَلَ ضَيِّقٌ لا يَتَّسِعُ لي وَلَوْلا ذٰلِكَ لَما أَزْعَجْتُكَ . أَلا تَنْزِلُ وَتَجيئُني بِالمِصْباحِ ؟ إِلَيْكَ هٰذا الخاتَمَ فَالسِّردابُ قَدْ لا يَكونُ آمِنًا ، وَقَدْ يَظْهَرُ جِنِّيٌّ وَيُحاوِلُ قَتْلَكَ ، وَلٰكِنَّ الخاتَمَ سَيَجْعَلُكَ بِمَأْمَنٍ مِنْ شَرِّهِ . »

نَزَلَ عَلاءُ الدِّينِ السِّردابَ ، وَعِنْدَ نِهايَتِهِ رَأى حُجْرَةً صَغيرَةً ، تَتَوَسَّطُها



مِنْضَدَةٌ فوقَها ٱلمِصْباحُ . لَمْ يَتَوانَ عَلاءُ ٱلدِّينِ عَنْ حَمْلِ ٱلمِصْباحِ وَٱلصُّعودِ في ٱلسِّرْدابِ . وَلٰكِنَّهُ وَجَدَ ٱلبابَ مُغْلَقًا ، فَنادَى ٱلسَّاحِرَ غَيْرَ أَنَّ ٱلسَّاحِرَ لَمْ يَفْتَحْ إِلَّا جانِبًا ضَيِّقًا مِنَ ٱلبابِ ، وَطَلَبَ مِنْ عَلاءِ ٱلدِّينِ أَنْ يُعْطِيَهُ ٱلمِصْباحَ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ ٱلبابَ بِأُكْمَلِهِ . عِنْدَئِذٍ شَكَّ عَلاءُ ٱلدِّينِ في نِيَّةِ ٱلسَّاحِرِ ، وَقالَ لِنَفْسِهِ : إِنِّي لا أَميلُ إِلى هٰذا ٱلرَّجُلِ . وَقَدْ لا يُخْرِجُني مِنَ ٱلسِّرْدابِ إِذا أَنا أَعْطَيْتُهُ ٱلمِصْباحَ .

وَلِلْمَرَّةِ ٱلثَّانِيَةِ سَأَلَهُ عَلاءُ ٱلدِّينِ أَنْ يَفْتَحَ لَهُ ٱلبابَ لِيَخْرُجَ وَيُسَلِّمَهُ ٱلمِصْباحَ . وَلٰكِنَّ ٱلسَّاحِرَ بَقِيَ مُصِرًّا عَلى أَنْ يَأْخُذَ ٱلمِصْباحَ أَوَّلًا . وَكانَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قائِلًا : « إِنْ أَبْقَيْتُهُ في ٱلسِّرْدابِ ٱللَّيْلَةَ بِطولِها ، فَلابُدَّ أَنْ يَمْتَثِلَ لِطَلَبي غَدًا . »

عادَ عَلاءُ ٱلدِّينِ إِلى ٱلحُجْرَةِ ٱلصَّغيرَةِ لِيَقْضِيَ لَيْلَتَهُ فيها ، وَلٰكِنَّهُ ، لِكَثْرَةِ ما انْتابَهُ مِنَ ٱلمَخاوِفِ وَٱلهَواجِسِ ، لَمْ يَجِدْ إِلى ٱلنَّوْمِ سَبيلًا . فَٱلسَّاحِرُ سَيِّئُ ٱلنِّيَّةِ ، وَلَيْسَ مِنَ ٱلمُسْتَبْعَدِ أَنْ يُبْقِيَهُ في ٱلسِّرْدابِ إِلى أَنْ يَموتَ . سَاءَلَ عَلاءُ ٱلدِّينِ نَفْسَهُ : ما ٱلسَّبيلُ إِلى ٱلخُروجِ مِنَ ٱلمَأْزِقِ ؟ إِنَّ والِدَتي تَجْهَلُ مَكاني ، وَقَدْ تَذْهَبُ بِها ٱلمَخاوِفُ فَتَحْسَبُني مِنَ ٱلأَمْواتِ . لَوْ قُدِّرَ لي ٱلخُروجُ مِنَ ٱلسِّرْدابِ ، سَأُعْطي أُمّي هٰذا ٱلخاتَمَ ٱلجَميلَ لِتَبيعَهُ وَتَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ طَعامًا ، كَما يُمْكِنُ ٱلإِفادَةُ مِنْ بَيْعِ هٰذا ٱلمِصْباحِ ٱلقَديمِ أَيْضًا .

وَسْطَ هٰذِهِ ٱلأَفْكارِ ، تَذَكَّرَ ٱلخاتَمَ فَحَكَّهُ ، فَإِذا بِجِنِّيٍّ يَنْتَصِبُ أَمامَهُ قائِلًا : « لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، جِنِّيُّ ٱلخاتَمِ بَيْنَ يَدَيْكَ ! »

قالَ لَهُ عَلاءُ ٱلدِّينِ : « أَخْرِجْني مِنَ ٱلسِّرْداب ، وَاذْهَبْ بي إِلى أُمّي . » فَلَمْ يَشْعُرْ إِلّا وَهُوَ أَمامَ بَيْتِهِ . وَكَمْ كانَتْ فَرْحَةُ والِدَتِهِ كَبيرَةً ، فَضَمَّتْهُ إِلى صَدْرِها وَسَأَلَتْهُ : « أَيْنَ كُنْتَ ، يابُنَيَّ ؟ لَقَدْ شُغِلَ بالي عَلَيْكَ . وَلٰكِنْ ، لِمَ لَمْ تَجْمَعْ أَزْهارًا نَبيعُها وَنَشْتَري بِثَمَنِها طَعامًا ؟ »

أَسْرَعَ عَلاءُ ٱلدِّينِ وَأَعْطاها ٱلمِصْباحَ لِتَبيعَهُ ، إِلّا أَنَّها قالَتْ لَهُ : « سَيُباعُ هٰذا ٱلمِصْباحُ ٱلمُتَّسِخُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ، وَلٰكِنْ ، لَوْ نَظَّفْتُ ما عَلِقَ بِهِ مِنْ أَوْساخٍ ، لَبيعَ بِثَمَنٍ أَكْبَرَ . »

ما إِنْ أَخَذَتْ في تَنْظيفِهِ حَتّى ٱنْتَصَبَ جِنِّيٌّ أَمامَها ، فَصَرَخَتْ وَسَأَلَتْهُ : « مَنْ تَكونُ أَيُّها ٱلمَخْلوقُ ؟ »

أَجابَها : « لَبَّيْكِ ، لَبَّيْكِ ، جِنِّيُّ ٱلمِصْباحِ بَيْنَ يَدَيْكِ ! »

قالَ لَهُ عَلاءُ ٱلدِّينِ : « جِئْنا بِطَعامٍ نَأْكُلُهُ . »

وَما هِيَ إِلّا لَحَظاتٌ حَتّى وَجَدا أَمامَهُما مائِدَةً عامِرَةً بِمُخْتَلِفِ صُنوفِ ٱلطَّعامِ ٱلشَّهِيَّةِ تَكْفيهِما يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً ، فَأَكَلا ما لَذَّ وَطابَ ، وَحَمِدا رَبَّ ٱلعِبادِ .

ذاتَ صَباحٍ مَرَّ بِعَلاءِ ٱلدِّينِ مَوْكِبُ ٱلأَميرَةِ بَدْرِ ٱلبُدورِ ، فَأَعْجَبَهُ حُسْنُها وَجَمالُها ، وَتَمَنّاها زَوْجَةً لَهُ فَعادَ إِلى ٱلبَيْتِ ، وَحَكَّ ٱلمِصْباحَ وَقالَ لِلْجِنِّيِّ : « أُريدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ ٱلأَميرَةَ ، فَابْنِ لي بَيْتًا فَخْمًا أَنيقًا ، وَائْتِني بِملابِسَ فاخِرَةٍ وَجَواهِرَ ثَمينَةٍ ، وَأَمْوالٍ طائِلَةٍ تَجْعَلُني أَغْنى رَجُلٍ في ٱلمَدينَةِ . اِفْعَلْ

ما أَمَرْتَ بِهِ . » وَاسْتَجابَ ٱلجِنِّيُّ لِطَلَبِهِ .

في ٱليَوْمِ ٱلتّالي قَصَدَ عَلاءُ ٱلدِّينِ ٱلقَصْرَ ٱلمَلَكِيَّ ، وَمَثَلَ أَمامَ ٱلمَلِكِ ، وَبَعْدَ أَنْ حَيّاهُ خاطَبَهُ قائِلًا : « يامَوْلايَ ! إِنَّني أَغْنى رَجُلٍ في ٱلمَدينَةِ ، وَقَدْ جِئْتُكَ طالِبًا يَدَ ابْنَتِكَ ٱلأَميرَةِ بَدْرِ ٱلبُدورِ . » وَفي ٱلقَصْرِ ٱلْتَقى ٱلأَميرَةَ ، وَتَحَدَّثَ مَعَها ، فَأُعْجِبَتْ بِهِ . وَبِمُرورِ ٱلأَيّامِ ، وَكَثْرَةِ ٱللِّقاءاتِ ، ازْدادَ إِعْجابُها بِهِ ، وَرَأَتْ فيهِ ٱلزَّوْجَ ٱلصّالِحَ . فَذَهَبَتْ إِلى والِدِها ، وَقالَتْ لَهُ : « لَقَدْ أُعْجِبْتُ بِعَلاءِ ٱلدِّينِ ، وَأَرْغَبُ في ٱلزَّواجِ بِهِ ، وَإِنّي عَلى ثِقَةٍ بِأَنَّ حَياتَنا سَتَكونُ سَعيدَةً . »

وَزُفَّتِ ٱلأَميرَةُ إِلى عَلاءِ ٱلدِّينِ ، وَعاشا في أَفْخَمِ بَيْتٍ في ٱلمَدينَةِ .

* * *

تَوَقَّفَتْ شَهْرَزادُ عَنِ ٱلكَلامِ ، وَأَطَلَّتْ بِرَأْسِها مِنَ ٱلنّافِذَةِ لِتَتَحَقَّقَ مِنْ شُروقِ ٱلشَّمْسِ ، وَلٰكِنَّ ٱلسُّلْطانَ طَلَبَ مِنْها أَنْ تُكْمِلَ قِصَّتَها .

قالَ لَها : « لا أَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ نِهايَةُ ٱلقِصَّةِ ، وَقَلْبي يُحَدِّثُني بِأَنَّهُما لَنْ يَسْتَمِرّا في سَعادَتِهِما . » لٰكِنَّ شَهْرَزاد ، وَقَدْ شاهَدَتْ تَباشيرَ ٱلصَّباحِ ، قالَتْ : « أَلا أَتَوَقَّفُ عَنِ ٱلكَلامِ عِنْدَ شُروقِ ٱلشَّمْسِ ؟ » فَقاطَعَها ٱلسُّلْطانُ قائِلًا : « لا ، لا ياشَهْرَزادُ ، لَكِ أَنْ تَسْتَمِرّي حَتّى نِهايَةِ ٱلقِصَّةِ . » فاسْتَأْنَفَتْ كَلامَها وَقالَتْ :

عِنْدَما يَئِسَ ٱلسّاحِرُ مِنَ ٱلِانْتِظارِ ، أَغْلَقَ بابَ ٱلسِّرْدابِ ، وَعادَ إِلى بَلَدِهِ في إِفريقية . وَذاتَ يَوْمٍ ، قَدِمَ إِلَيْهِ مِنْ بِلادِ ٱلصّينِ زائِرٌ ، فَسَأَلَهُ ٱلسّاحِرُ : « ما

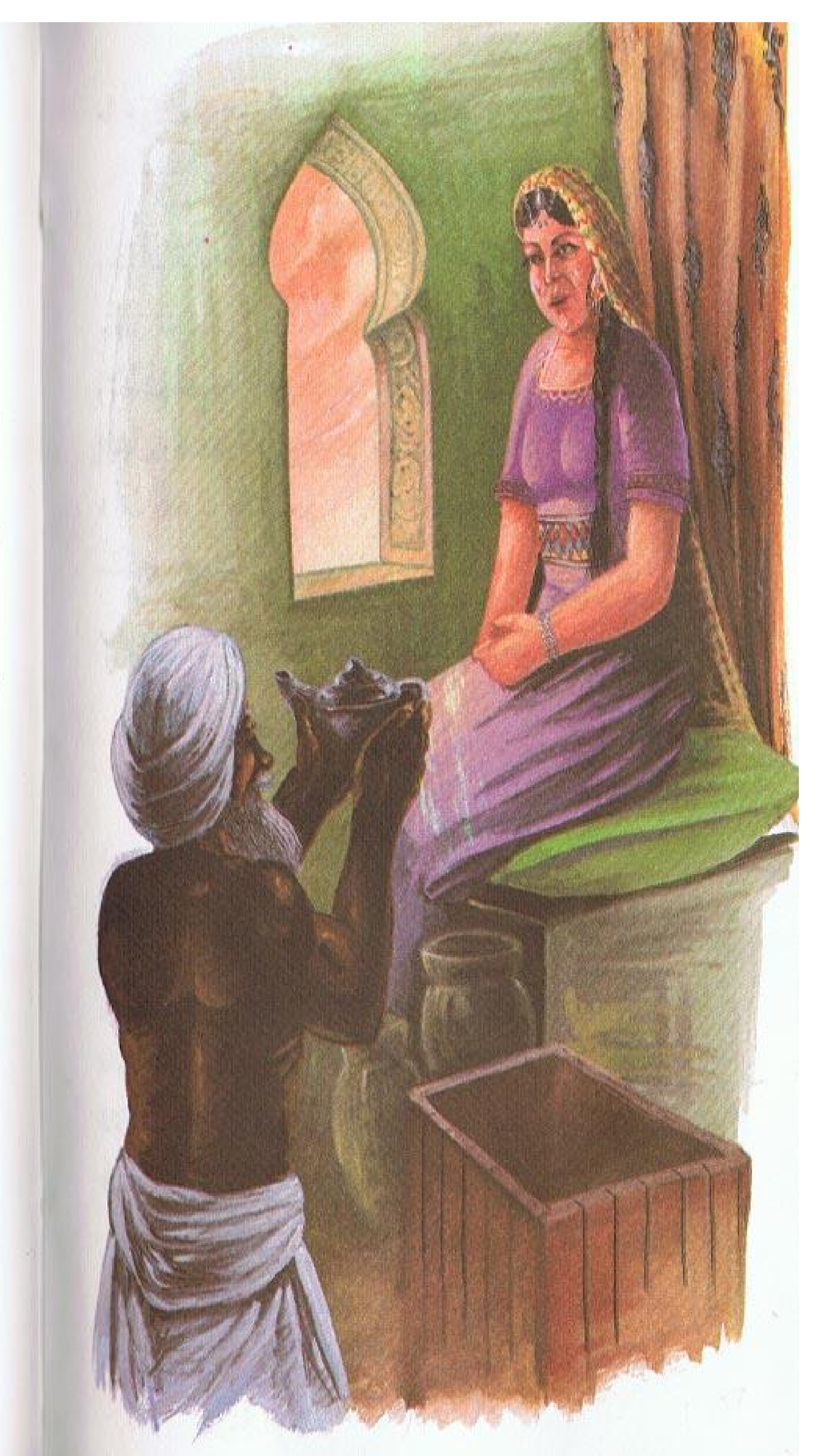
وَراءَكَ ؟ ماذا استَجَدَّ مِنْ أَخْبارٍ في ٱلصِّينِ ؟ » فَأَجابَهُ ٱلرَّجُلُ : « إِنَّ شابًّا يُدْعى عَلاءَ ٱلدِّينِ تَزَوَّجَ مِنَ ٱلأَميرَةِ بَدْرِ ٱلبُدورِ وَهُوَ يَعيشُ مَعَها في قَصْرٍ ضَخْمٍ ، بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ مِنْ كِبارِ ٱلأَثْرِياءِ . »

ما إِنْ سَمِعَ ٱلسَّاحِرُ ما قالَ ٱلرَّجُلُ حَتَّى أَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ : آهٍ ، عِنْدَما عُدْتُ في صَباحِ ٱليَوْمِ ٱلتَّالي إِلى بابِ ٱلسِّرْدابِ ، نادَيْتُ عَلاءَ ٱلدِّينِ ، وَلٰكِنْ لَمْ يُجِبْني أَحَدٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ماتَ فيهِ . وهٰأَنذا أَسْمَعُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ ، بَلْ خَرَجَ مِنْهُ وَمَعَهُ ٱلمِصْباحُ ، وَاسْتَغَلَّ ٱلجِنِّيَّ في تَحْقيقِ مآرِبِهِ . لا بُدَّ مِنَ ٱلذَّهابِ إِلى ٱلصِّينِ وَٱلإِسْتيلاءِ عَلى ٱلمِصْباحِ .

سافَرَ ٱلسَّاحِرُ إِلى ٱلصِّينِ يَحْمِلُ مَعَهُ مَصابيحَ جَديدَةً شَبيهَةً بِمِصْباحِ عَلاءِ ٱلدِّينِ ، وَٱخْتَبَأَ في مَكانٍ قَريبٍ مِنْ قَصْرِ عَلاءِ ٱلدِّينِ ، وَظَلَّ يَتَرَقَّبُ خُروجَهُ . وَعِنْدَما خَرَجَ عَلاءُ ٱلدِّينِ دَخَلَ ٱلسَّاحِرُ ٱلقَصْرَ وَقالَ لِلأَميرَةِ : « أَيَّتُها ٱلأَميرَةُ لَدَيَّ مَصابيحُ جَديدَةٌ تَليقُ بِقَصْرِكُمْ ، وَإِنِّي عَلى ٱسْتِعْدادٍ لِإِعْطائِكُمُ ٱلجَديدَةَ بَدَلَ ٱلقَديمَةِ ٱلَّتي عِنْدَكُمْ . »

فَأَجابَتْهُ ٱلأَميرَةُ : « لَيْسَ لَدَيْنا مَصابيحُ قَديمَةٌ ، فَٱلبَيْتُ جَديدٌ وَمَصابيحُهُ جَديدَةٌ . » وَلٰكِنَّ ٱلسَّاحِرَ لَمْ يَيْأَسْ بَلْ قالَ لَها : « أَلَيْسَ عِنْدَكُمْ مِصْباحٌ قَديمٌ جِدًّا ؟ » فَتَذَكَّرَتْ مِصْباحَ عَلاءِ ٱلدِّينِ ، وَأَسْرَعَتْ بِإِحْضارِهِ .

أَخَذَ ٱلسَّاحِرُ ٱلمِصْباحَ وَحَكَّهُ ، فَٱنْتَصَبَ ٱلجِنِّيُّ أَمامَهُ بِٱنْتِظارِ أَوامِرِهِ . عِنْدَئِذٍ قالَ لَهُ ٱلسَّاحِرُ : « أُنْقُلْ هٰذا ٱلبَيْتَ وَمَنْ فيهِ إِلى إِفْرِيقِيَة . » فَفَعَلَ ٱلجِنِّيُّ ما أَمَرَهُ بِهِ .



وَعِنْدَ ٱلظَّهيرةِ ، عادَ عَلاءُ ٱلدِّينِ ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَثَرًا لِلْبَيْتِ أَوْ ساكِنيهِ ، فَتَأَلَّمَ كَثيرًا ، وَتَساءَلَ عَمَّا يَفْعَلُ . وَتَذَكَّرَ ٱلخاتَمَ ، وَحَكَّهُ ، وَإِذا بِالجِنِّيِّ أَمامَهُ فَقالَ لَهُ : « لَقَدْ جاءَ مَنِ ٱسْتَوْلى عَلى ٱلمِصْباحِ ، فَأَيْنَ ٱلبَيْتُ ؟ وَأَيْنَ ٱلأَميرةُ ؟ وَهَلْ تَسْتَطيعُ إِعادَتَهُما لي ؟ »

أَجابَهُ ٱلجِنِّيُّ : « إِنَّ ٱلبَيْتَ وَٱلأَميرَةَ في إِفْريقية ، وَلٰكِنِّي لا أَسْتَطيعُ إِعادَتَهُما ، لِأَنَّ جِنِّيَّ ٱلمِصْباحِ أَقْوى مِنِّي وَأَعْظَمُ ، غَيْرَ أَنِّي قادِرٌ عَلى أَنْ أَنْقُلَكَ إِلى إِفْريقية . »

وَلَمَّا وَصَلَ إِلى إِفْريقية رَأى ٱلبَيْتَ ، ثُمَّ ٱنْتَظَرَ خُروجَ ٱلسّاحِرِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ . وما إِنْ رَأَتْهُ ٱلأَميرَةُ حَتّى تَهَلَّلَ وَجْهُها وَقالَتْ لَهُ : « لَقَدْ كُنْتُ واثِقَةً مِنْ مَجيئِكَ لِإِنْقاذي . قُلْ لي ، ماذا عَلَيْنا أَنْ نَفْعَلَ ؟ »

رَدَّ عَلَيْها عَلاءُ ٱلدِّينِ : « أَيْنَ ٱلمِصْباحُ ؟ يَجِبُ أَنْ نَحْصُلَ عَلَيْهِ في ٱلحالِ . »

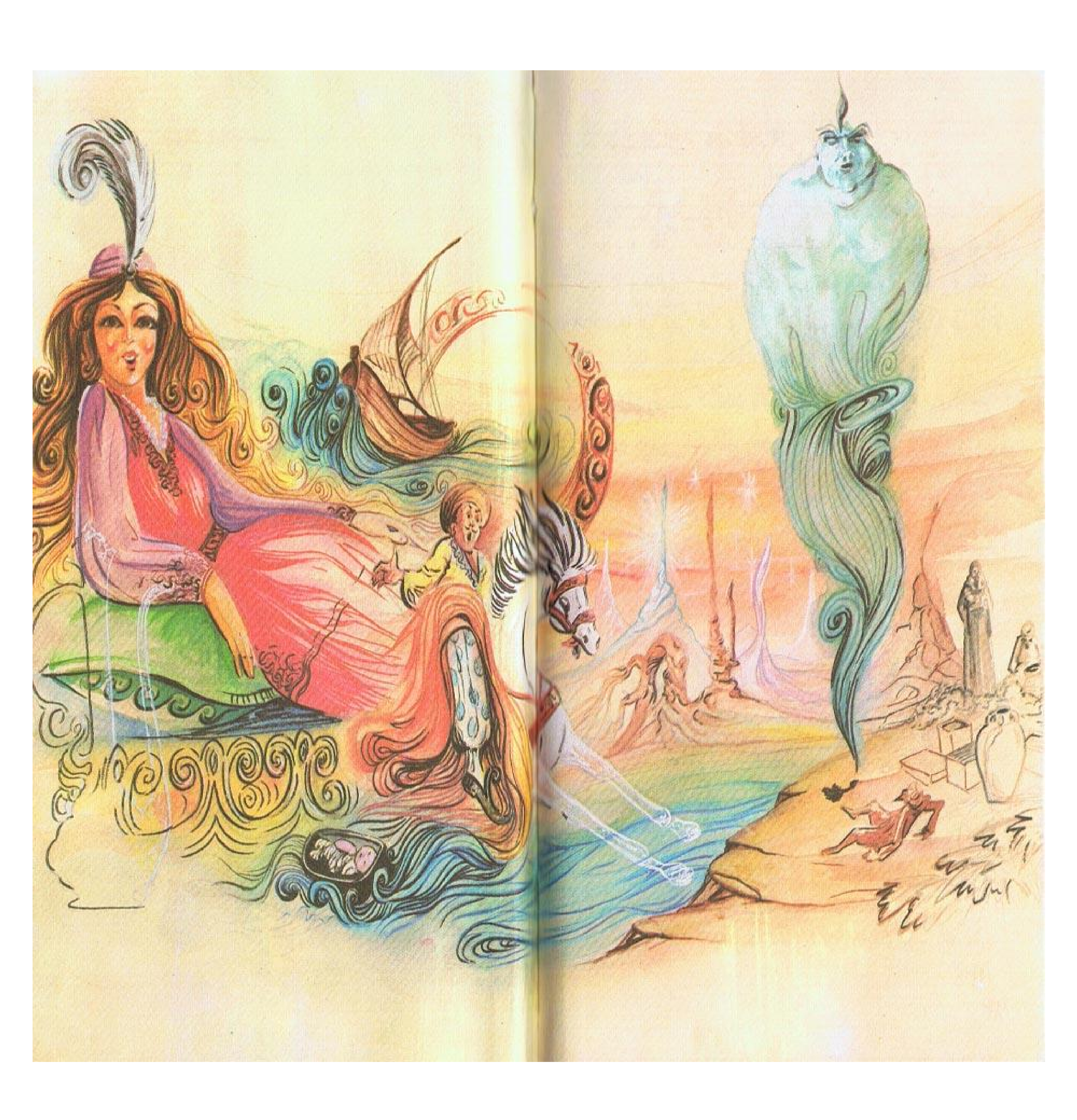
قالَتْ لَهُ ٱلأَميرَةُ : « إِنَّ ٱلسّاحِرَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ لَيْلًا وَنَهارًا ، وَلا يُفارِقُهُ أَبَدًا . » عِنْدَئِذٍ أَعْطاها عَلاءُ ٱلدِّينِ مَسْحوقًا لِتَضَعَهُ في طَعامِ ٱلسّاحِرِ ، وَاخْتَبَأَ في مَكانٍ قَريبٍ . وَلَمّا عادَ ٱلسّاحِرُ ، جاءَتْهُ ٱلأَميرَةُ بِٱلطَّعامِ . وَما إِنْ أَكَلَ مِنْهُ ، حَتّى ذَهَبَ في سُباتٍ عَميقٍ ، فَأَسْرَعَ عَلاءُ ٱلدِّينِ وَٱنْتَزَعَ مِنْهُ ٱلمِصْباحَ وَحَكَّهُ . ثُمَّ طَلَبَ مِنَ ٱلجِنِّيِّ أَنْ يُلْقِيَ بِٱلسّاحِرِ في ٱلسِّرْدابِ نَفْسِهِ ٱلَّذي حَبَسَهُ فيهِ ، وَأَنْ يُعيدَ ٱلبَيْتَ إِلى مَكانِهِ في ٱلصّينِ .

وَكَمْ كانَ سُرورُ ٱلمَلِكِ عَظيمًا عِنْدَما ٱلتَقى هُوَ وَعَلاءُ ٱلدِّينِ وَٱلأَميرَةُ .

وَبَعْدَ مَوْتِ ٱلمَلِكِ ، خَلَفَهُ عَلاءُ ٱلدِّينِ عَلى ٱلعَرْشِ .

اِلتَفَتَتْ شَهْرَزادُ إِلى ٱلسُّلْطانِ وَقالَتْ لَهُ : « بِذٰلِكَ تَنْتَهي قِصَّتي ٱلأَخيرَةُ . » فَقالَ ٱلسُّلْطانُ : « قِصَّتُكِ ٱلأَخيرَةُ ؟ أَلا تَعْرِفينَ قِصَصًا غَيْرَها ؟! » فَقالَتْ : « نَعَمْ أَعْرِفُ أَلْفَ قِصَّةٍ وَقِصَّةً أَوْ يَزيدُ . » وَأَبْدَتِ ٱسْتِعْدادَها أَنْ تَقُصَّ عَلَيْهِ في كُلِّ لَيْلَةٍ قِصَّةً جَديدةً حَتّى نِهايَةِ عُمْرِها أَوْ عُمْرِهِ .

وَمِنْ شِدَّةِ إِعْجابِ ٱلسُّلْطانِ بِٱلقِصَصِ ٱلطَّريفَةِ ٱلَّتي سَمِعَها مِنْ شَهْرَزادَ ، عَفا عَنْها لِتَقْضيَ بَقِيَّةَ ٱلعُمْرِ تَقُصُّ عَلَيْهِ قِصَّةً في كُلِّ لَيْلَةٍ .



الحكايات اللطيفة

١ - حكايات من ألف ليلة وليلة
٢ - البطة الصغيرة القبيحة وقصص أخرى
٣ - الجواد الأسود الشجاع
٤ - حكايات من تاريخ العرب
٥ - الصندوق العجيب وقصص أخرى
٦ - الحذاء السحري وقصص أخرى
٧ - أليس في بلاد العجائب
٨ - حورية النار وقصص أخرى
٩ - أولاد الغابة



مكتبة لبنان
ساحة رياض الصلح - بيروت
رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198 601